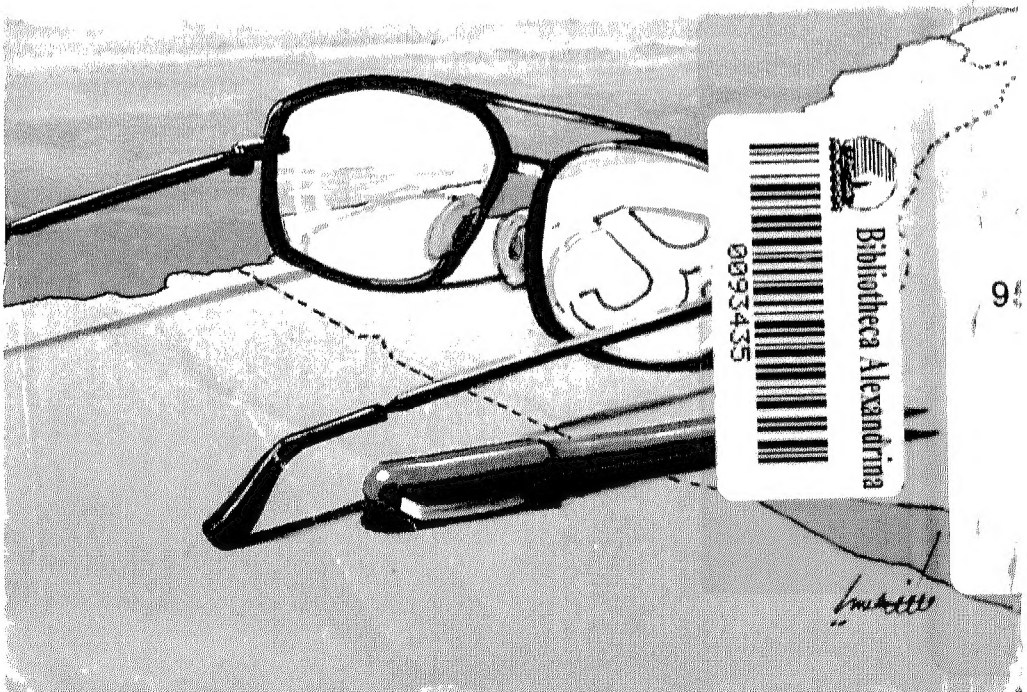


هكذا رأيت إسرائيل

محمد مصطفى



كتاب
اليوم
يصدر عن دار
أخبار اليوم
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سمده
رئيس التحرير :
نبيل أباطة

□ مارس ١٩٩٥

□ نوفمبر ١٩٩٥
طبعة ثانية

أسعار كتاب اليوم في الخارج

المنطقة للظلي ١	دينار
المغرب ٢٥	درهما
لبنان ٢٥٠٠	ليرة
الأردن ١٥٠٠	فلوس
العراق ٧٠٠٠	فلوس
الكويت ٧٥٠	فلوسا
السعودية ١٠	ريالات
السودان ٣٢٠٠	فلوس
تونس ٢	دينار
الجزائر ١٧٥٠	سنتيما
سوريا ٧٥	ل . س
الحبشة ٦٠٠	سنت
البحرين ١	فلوس
سلطنة عمان ١	بييسة
عمرة ١٥٠	سنتا
ح . اليمنية ٣٥	بالا
المولد بيجيا ٨٠	بنيا
السنگال ٦٠	فرنكا
الإمارات ١٠	درهما
قطر ١٠	ريالات
انجلترا ١,٧٥	جك
فرنسا ١٠	فرنكات
المسانيا ١٠	ماركات
إيطاليا ٢٠٠٠	ليرة
هولندا ١	فلورين
باكستان ٣٥	ليرة
سويسرا ٤	فرنكات
اليونان ١٠٠	دراخمة
الشمس ٤٠	شلنا
الدنمارك ١٥	كرون
السويد ١٥	فلورين
الهند ٣٥٠	روبية
كندا أمريكا ٣٠٠	سنت
البرازيل ٤٠٠	كرويزو
نيوزيلاند والطنن ٣٥٠	سنتا
لوس أنجلوس ٤٠٠	سنت
استراليا ٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ جنيها مصريا

البريد الجوي

- دول اتحاد البريد العربى ٢٠ دولارا
- اتحاد البريد الافريقى ٢٥ دولارا
- امريكا او مايعادله
- اوربا وامريكا ٣٠ دولارا
- امريكا الجنوبية واليابان واستراليا
- ٤٠ دولارا امريكا او مايعادله
- ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
- ترسل القيمة إلى الاشتراكات
- ٣ (١) ش الصحافة
- القاهرة ت ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)
- فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠



محمد مصطفیٰ

الغلاف بريشة الفنان :
مصطفى حسين

الاهداء

إلى روح المغفور له والدى ..
الذى علمنى أنه لن يضيع حق وراءه مطالب..
إلى أرواح الشهداء الأبرار
الذين ضحوا بأرواحهم الطاهرة ..
من أجل أن يولد سلام... نتمنى أن يكون عادلاً

محمد مصطفى

بقلم : سعيد سنبل

لا يستطيع الصحفي أن يتحرر من أسر الصحافة ..!

ومحمد مصطفى .. هو واحد من الصحفيين البارزين الاكفاء القلائل الذين أسرتهم الصحافة .. واستولت علي كل تفكيرهم .. وأصبحت تتحكم في خطاهم، وحركتهم .. كما تتحكم أجهزة التوجيه من البعد «الريموت كنترول».. في الأجهزة الالكترونية ..!

لذلك .. لم أدهش ، ولم أعجب .. عندما نبتت في ذهنه فكرة السفر الي اسرائيل لحظة مشاهدة ياسر عرفات وهو يصفاح اسحاق رابين في حديقة البيت الابيض بمدينة واشنطن ..

لحظتها .. كان موجودا في المغرب .. وجلس مع مجموعة من اصدقائه يشاهدون ويتابعون لقاء عرفات ورايين علي شاشة التلفزيون ..

ومن المؤكد .. أن عشرات الملايين .. وربما مئات الملايين .. تجمعوا في تلك اللحظة أيضاً حول شاشات التلفزيون في مختلف أنحاء العالم .. لمتابعة هذا الحدث التاريخي الذي نقلته الاقمار الصناعية الي مختلف عواصم العالم ..

ومن المؤكد أيضاً .. فإن ردود فعلهم إزاء هذا الحدث اختلفت وتباينت .. وسرعان ما انتقلوا بتفكيرهم الي اهتمامات أخرى .. ولكن محمد مصطفى الصحفي .. والذي استولت عليه الصحافة تماماً .. عاش تلك اللحظة بتفكير الصحفي ! .. ولم يعتبر هذا اللقاء التاريخي .. مجرد لقاء مثير وحسب .. إنما

شعر بحسه الصحفي أن هذا اللقاء هو بداية تحول خطير في المنطقة .. وفي علاقات الدول الموجودة فيها ..!

والصحفي .. طبيعته الفضول .. فهو يريد أن يعرف ، وان يتحقق بنفسه .. وأن يصل الي الحقائق .. يجمعها .. ويربط بينها .. يكتبها .. وبعد ذلك ينشرها علي الناس .. لذلك لم يكن غريباً أن يفكر محمد مصطفى في تلك اللحظة في القيام بزيارة الي اسرائيل في محاولة للبحث عن الحقائق ..

ويختلف الصحفيون في مصر ، وفي بلاد عديدة من بلدان العالم العربي حول زيارة اسرائيل .. إذ يقف بعضهم موقفاً عدائياً من هذا التفكير، ويدعون الي مقاطعة اسرائيل وعدم زيارتها .. بينما يري فريق آخر.. أن واجب الصحفي هو البحث عن الحقائق، وجمعها، ونشرها علي الناس .. وهذا يقتضيه أن يتواجد في موقع الاحداث .. أياً كان الموقع ..!

وكان محمد مصطفى واحداً من أعضاء الفريق الذي يدعو الصحفيين الي مقاطعة اسرائيل ، والامتناع عن زيارتها .. وكثيراً ما كتب وهاجم اسرائيل وانتقد ممارساتها اللاانسانية ضد المواطنين العرب .. ولكن أمام المشهد الذي امتدت فيه يد الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات لتصافح يد رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحاق رابين .. تحرك فيه إحساسه الصحفي ، واحس برغبة شديدة في زيارة اسرائيل ، وزيارة الأرض المحتلة .. والتعرف علي حقيقة الأوضاع القائمة هناك .. والأوضاع التي سوف تترتب عن هذه المصافحة التاريخية! ..

وكلمة اسرائيل لا تزال تثير حساسية لدي البعض .. وتثير أحاسيسا مختلفة ومتباينة لدي الكثيرين منا .. ولا تزال أغلبية الشعب العربي تشعر

بالتردد والرغبة في الابتعاد .. إذا تعلق الأمر بإسرائيل .. وليس هذا بالأمر الغريب .. فقد عشنا ما يقرب من نصف قرن كامل في صراع دموي ودامي مع إسرائيل .. وفي ظل هذا الصراع .. كثيراً ما سادت الغوغائية .. وبالتالي اختلطت المفاهيم وغابت العديد من الحقائق ..

وكانت أكبر عيوب العالم العربي - ولا تزال - غياب مفهوم حرية الصحافة .. وحرية الصحافة لا تعني حرية الكتابة بقدر ما تعني حرية انتقال الحقائق والمعلومات الي قارئ الصحف ..

وفي ظل مناخ افتقدت فيه البلاد العربية لحرية الصحافة .. لم نعرف خصمنا وعدونا علي حقيقته .. إنما تخيلناه من خلال الصورة التي كانت تقدمها لنا وسائل الاعلام الرسمية .. التي تعبر عن رأي الحكومات وتوجهاتها ..

ولأن الحكام العرب كانوا لا يكفون عن التهديد بسحق إسرائيل وتأديب إسرائيل .. وتدمير إسرائيل .. وإلقاء إسرائيل في البحر .. كما أر بعضهم كان يصير علي وصفها بإسرائيل المزعومة .. فقد عشنا نتصور .. ونتخيل .. ونتمني لحظة تتحقق لنا فيها المواجهة مع إسرائيل حتي نتخلص منها ومن شرورها ..

وحانت تلك اللحظة في ٥ يونيو ١٩٦٧ م .. ويومها تصورت الشعوب أن لحظة الخلاص من إسرائيل قد حانت ، وحلت .. وخرجت الناس صباح ذلك اليوم تهلل في الشوارع ، وتتبادل التهئة .. علي وعد باللقاء في تل أبيب ..! ولم تكد تمضي أيام معدودة .. حتي اكتشفت الشعوب العربية أنها كانت تعيش في وهم كبير .. وأن الصورة التي صنعتها لإسرائيل من خلال

* هكذا رايت إسرائيل *

وسائل الاعلام العربية كانت صورة زائفة وكاذبة.. تعبر عن أمني الحكام العرب .. ولا تعبر بأي حال من الاحوال عن حقيقة الاوضاع داخل اسرائيل..!

إن غياب الحقائق عن الشعب العربي .. كانت أكبر جريمة ارتكبتها الاعلام العربي الموجه، الخاضع لسيطرة الحكومات .. لأنها جعلتنا نجهل حقيقة خصمنا ونخطئ حساباتنا وتقديراتنا .. رغم أنه من الحقائق المعروفة أنه لكي أتغلب علي خصمي يجب أن أدرس حالته بعمق ، وان اكتشف مواطن الضعف ، ومواطن القوة فيه.. وهو الأمر الذي غاب تماماً عن الشعوب العربية قبل لحظة المواجهة التي انتهت بهزيمة عسكرية .. جرحت كل عربي ، وتركته ينزف دماً ودمعاً ..

واستغل الاسرائيليون ما حدث في أعقاب معركة ٥ يونيو ، وشنوا ضد الشعوب العربية حرباً نفسية قاتلة .. صورت الانسان الاسرائيلي في صورة السوبرمان !.. ووصفت الجيش الاسرائيلي بأنه الجيش الذي لا يقهر !..

وصدق الكثيرون من العرب هذه الادعاءات .. وعاشوا تحت تأثير هذا الوهم بضع سنوات .. إلي أن تغيرت الصورة تماماً في أعقاب حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م.. واكتشف الناس في العالم العربي .. انه في الامكان قهر الجيش الاسرائيلي ؟.. وقد تم قهره بالفعل !.. وان الجندي الاسرائيلي ليس «سوبرمان» .. كما صورته الدعاية إنما هو انسان عادي ، يجري ويهرب.. ويقع في الأسر !.. وان اسرائيل ليست دولة فريدة من نوعها .. وانما هي دولة قابلة للهزيمة والكسر ..

وبدأ العالم العربي يعرف الحقائق أكثر وأكثر .. وبدأ الناس في العالم



العربي يبحثون عن الحقيقة .. ويحرصون علي معرفتها .. وقد ساعد المناخ الذي ساد بعد ٦ أكتوبر علي بث الراحة النفسية في النفوس العربية التي استعادت ثقتها في نفسها .. وفي قدراتها ..

ولكن .. وفي أعقاب زيارة الرئيس الراحل أنور السادات لاسرائيل، ودعوته الي السلام .. عادت غوغائية الحوار والنقاش الي العالم العربي من جديد .. وانقسم الناس - علي الأقل في العلن- بين مؤيد لهذه الزيارة ومبارك لها .. وبين رافض لها ، ومتهما من قام بها بالخيانة والعمالة !!!
ومن جديد اختلطت المفاهيم .. وغابت الحقائق .. وأصبحت الأمور .. إما ابيض وإما أسود ..

واليوم بعد أن تصافح رابين مع عرفات .. وبعد أن وقعت الاردن معاهدة سلام مع اسرائيل .. وبعد ان أصبح الاتفاق الاسرائيلي السوري أمراً حتمياً .. فإننا في هذه الايام التاريخية أحوج ما نكون الي معرفة الحقائق عن اسرائيل .. بأمانة وموضوعية ودون مبالغة أو حكم مسبق.

وهذه هي وظيفة الكتاب والصحفيين .. وهذا هو واجبهم .. وهذا ما فعله الصحفي القدير الباحث عن المتاعب محمد مصطفى .. عندما قرر السفر الي اسرائيل في محاولة للبحث عن الحقيقة ..

وقد سافر بعض الصحفيين من قبل الي اسرائيل .. وعانوا وكتب بعضهم تحقيقات مقتضبة لا تقدم أية صورة لحقيقة الأوضاع في داخل اسرائيل .. بينما نشر بعضهم كتباً سيطرت عليها المشاعر .. أكثر مما سيطرت عليها الحقائق ..



* هكذا رايت اسرائيل *

ولكن هذا الكتاب الذي اختار له كاتبه ومؤلفه عنوان « هكذا رأيت إسرائيل » يعبر بصدق وموضوعية ، وبطريقة صحفية مشوقة عن حقائق كثيرة داخل إسرائيل يجهلها المواطن العربي ، ولا يعرفها ! ..

ولم يكتف المؤلف بالجلوس في الفنادق .. والاكتفاء بسماع القصص والحوادث .. إنما أمضى أسبوعين كاملين يتنقل من مكان الى مكان .. ومن موقع إلي آخر .. يلتقي بالناس .. ويتحاور مع السياسيين ، ومع العسكريين .. في محاولة منه لنبش الآراء المخفية داخل عقولهم ..

ولم يكتف باللقاءات والأحاديث .. إنما خاض في حقول الألغام .. أقصد زار القدس .. والجولان .. والمستوطنات .. وقدم صورة صادقة لكل ما رآه وما سمعه .. من أطراف مختلفة تباينت أحاسيسها ، واختلفت آراؤها ..

إننا في أشد الحاجة الي معرفة الحقائق .. وبالذات في هذه الفترة التاريخية .. التي تعتبر نقطة تحول مصيرية في العلاقات العربية الاسرائيلية . وكتاب « هكذا رأيت إسرائيل » يوفر هذا الأمر ويحققه .. وهو في رأيي .. ليس مجرد كتاب يضاف الي المكتبة العربية .. إنما هو إسهام في تأكيد حرية الصحافة .. لأنه ينقل الي الناس الحقائق مجردة .. وبغير تلوين ..

سعيد سنبل



قبل أن نقرأ ..

كانت انبداية عندما ذهب الي المغرب تلبية لدعوة
الحكومة المغربية لحضور حفل افتتاح المسجد الكبير
الذي شيده الملك الحسن الثاني كتحفة معمارية رائعة
فوق مياه المحيط الاطلسي

وفي مثل هذه المناسبات عادة ما يلتقي الزملاء
والاصدقاء من الصحفيين الذين تبعدهم الظروف
وتقربهم الأحداث .. وهكذا التقينا نحن الثلاثة - بابكر
حسن مكي ورمزي صوفيا وانا في منزل صديق رابع
هو الاستاذ / أحمد الجار الله

وبينما نحن نتناول طعام العشاء ونتابع بشغف
وإثارة ما نراه علي شاشة التلفزيون .. أخذنا نرقب
المصافحة التاريخية بين عرفات ورايين .. ورحنا نتمتم
ببعض الكلمات المعبرة عن دهشتنا .. بينما جلس احمد
الجار الله يتابع دون أن تظهر علي وجهه أية ردود فعل ..



وأدهشتني تعبيرات وجهه المستقرة فسألته مناوشاً :

معقول هذا الذي نراه ؟ .. فقال بهدوء لم لا ؟ .. ثم راح يترحم علي السادات وعاد لبعض ما كتبه عن السلام بين مصر واسرائيل .
وأردف قائلاً : لو سمعوا كلامه لكان حالهم قد تغير غير الحال ..
وفجأة لمع في ذهني خاطر غريب .. فسألته أحمد الجار الله ما رأيك لو سافرت لاسرائيل ؟ قال : تقصد أنا أم أنت ؟ قلت : أنا .. فجاء رده أسرع مما توقعت : توكل علي الله ..

وهل ستنشر تفاصيل هذه الرحلة في السياسة ؟ ..

— هل لديك شك في هذا ؟ ..

غادرنا منزل أحمد الجار الله أنا وصديقي بابكر الذي أصر علي دعوتي لقضاء الليلة عنده .. وفي الطريق سألته إن كان يعتقد أن أحمد الجار الله جاد في موافقته علي نشر نشاطات رحلتي الصحفية في جريدته ، لكن بابكر رد علي سؤالي بسؤال : وهل أنت جاد فعلاً في قيامك بهذه الرحلة ؟ .. وتاهت من أمام عيني معالم الطريق وأنا أحاول أن أجد اجابة لسؤالي: هل أنا جاد فعلاً في الذهاب الى اسرائيل ؟
هل استطيع أن أفعل ذلك ؟ أنا الذي كتبت عشرات المقالات أهاجم فيها اسرائيل وممارساتها الوحشية .. ثم انني معروف بين أصدقائي وزملائي بشدة عدائي لاسرائيل .. فما الذي حدث ؟ هل سقط الحاجز

النفسي الذي كان الرئيس الراحل أنور السادات يتحدث عنه ١٩ .. أم إن مصافحة عرفات ورايين أصابتني بعدوي السلام ١٩.

فى الصباح وعلي مائدة الأفطار رحت من جديد أناقش صديقي بابكر .. فقلت له: لو اتاحت لك فرصة زيارة اسرائيل، هل تفعلها ؟ .. فقال : هي تجربة صحفية مثيرة .. لكن دعك من رأيي .. فإذا كنت قد عزمت فتوكل علي الله ! كنت شديد الحرص علي معرفة رأي بابكر فهو بالاضافة لكونه صحفي متميز فإنه من الأصدقاء الذين لا يخفون آرائهم أو يسلبونها ألوانا كما أن له نفس توجهاتي القومية .. ولعلني لهذا السبب لم أشعر بارتياح لاجابة بابكر .. واكتفيت بهذا القدر من الحيرة حتي عدت الي القاهرة ..

في القاهرة التقيت باثنين من اصدقاء المهنة .. اثنان من كبار الصحفيين .. احبهما وأثق في آرائهما .. ولا نكاد نفترق .. صارحتهم بفكرة سفري الي اسرائيل .. في البداية بدا التحفظ في رد كل منهما .. وعندما رحت اشرح لهما مبرراتي ادركا ان القرار قد استقر في عقلي وانه لا مفر فأخذوا يوجهان لي النصائح .. وراحني ذلك كثيرا، وبسرعة اتصلت بصديقي اسماعيل منتصر مدير تحرير مجلة اكتوبر طالبا مساعدته في الحصول علي بعض الكتب الخاصة باسرائيل، وعندما سألني عن السبب صرخ قائلا: معقول .. أنت تسافر اسرائيل .. ووجدت نفسي مطالبا بان أوضح له دوافعي ومبرراتي ..

* هكذا رأيت اسرائيل *



وطالت محادثتنا التليفونية .. وأتفقنا أن يرتب لي اسماعيل لقاء مع محرر الشئون الاسرائيلية بمجلة اكتوبر الذي زار اسرائيل كثيراً والذي أخذت اسأله بنهم عن أهم الأماكن التي يجدر زيارتها والشخصيات التي يجب أن التقى بها ، وبالفعل فقد كان الزميل حسين سراج يحدثني عن اسرائيل بتفاصيل التفاصيل .. وغرقت لايام في مجموعة كتب ومعلومات أتيت بها من جهات عديدة..أخذت التهمها ..

* * *

وسافرت قبل أن اسافر!

الآن اصبحت أمامي صورة واضحة عن كل شيء ، وبدأت الترتيبات العملية فاتصلت بصديق يدير شركة للسياحة تمثل شركة سياحة اسرائيلية ، وطلبت منه تنظيم رحلة لاسرائيل .. فطلب مني اعداد قائمة بالاماكن التي أرغب في الذهاب اليها والشخصيات التي اعتزم رؤيتها والتحاور معها .

ولم تمض سوي ايام قليلة حتي اتصل بي صديقي ليبلغني ان كل شيء قد تم اعداده وادهشتني السرعة التي استطاع بها اعداد كل هذا العمل الذي يحتاج لاضعاف هذا الوقت ،، وراح احمد عن العرب يقول لي لقد حجزت لك علي طائرة اير سيناء المتجهة الي تل ابيب بعد غد ، قلت ولماذا هذا التسرع يا صديقي ارجوك اعطني مزيدا من الوقت.. قال أنا لا أري أي مبرر للتأخير .. أنت خائف ولا أیه ؟ قلت:

* هكذا رأيت اسرائيل *



لا طبعا .. خفاف من أليه ؟! الواقع اني لم أكن ساعتها انطق
بالحقيقة، فقد كنت ألفت خائف .. من ماذا ؟ لا أعرف! ..

نحن الآن نستعد للهبوط في مطار بن جوريون .. يا ألهي هل ما
أسمعه صحيحاً!! وانتابتني مشاعر متباينة..سمها الخوف..سمها
القلق..سمها الندم..سمها ما شئت ،وتمنيت لو كان الأمر لي أن اصدر
تعليماتي لقائد طائرة اير سيناء أن يستدير عائدا الي القاهرة ..

وبخطوات متثاقلة رحت اهبط سلم الطائرة ، كان صوت دقات قلبي
يعلو علي صوت أقدامي علي السلم ، وأفقت من شرودي علي صوت
ينادي اسمي .. قدم الي نفسه علي انه مندوب وزارة الخارجية .. وبينما
انا اصافحه سمعت صوتا ثانيا ينادي علي اسمي فاذا به مصري ..
عرفت انه لطفي عليوة الملحق الصحفي بالسفارة المصرية ، وقدمني
لمصري آخر قائلأ زميلي الاستاذ جمال عبد الناصر - الملحق الاداري
للسفارة ..

قلت : عبد الناصر ، وهنا في اسرائيل ياللهول .. قلتها علي طريقة
يوسف وهبي في محاولة للتخفيف من الجو المرعب الذي يسيطر علي
مشاعري .

وقف الاربعة تحت سلم الطائرة .. جيل مندوب الخارجية
الاسرائيلية والسائق أدمون، ولطفي عليوة وزميله جمال عبد الناصر،
وبعد قليل انضم اليهما اثنان آخران قدما نفسيهما علي انهما موفدان



من شركة السياحة التي نظمت لي الرحلة وأخبراني بالتوصيات الكبيرة التي تلقوها من صديقهم وصديقي أحمد عز العرب بالقاهرة، ووجدتني محاطاً بهذا الوفد من المستقبلين ، وكذلك محاطاً بنظرات ركاب الطائرة الذين قفز من أعينهم سؤال كبير : «يبقي مين حضرته» ٩٠.

انقذني الملحق الاعلامي لطفي عليوة بقوله : سيادة السفير في انتظارك اتفضل معانا .. السيارة بالخارج .. نظرت الي جميع المستقبلين ولم اتكلم ، لكن عيني كانت تقول : كما تروني .. سيادة السفير في انتظاري ، وعلي الفور اخرج كل منهم بطاقة فيها بياناته .. واقترب مندوب الخارجية مني وقال بأدب سوف نلتقي في الصباح لتناول الافطار سوياً ونناقش برنامجك ونتعرف علي اقتراحاتك .. ودون أن يسألني عن موعد استيقاظي أردف قائلاً : أوكي في الثامنة صباحاً نلتقي بالمطعم !

وفي دقائق معدودة انتهت الاجراءات وأخذت جوازي مطبوعاً علي احدي صفحاته تأشيرة الدخول الي اسرائيل ، لم يفتح احد حقائبي، وانطلقت بنا السيارة الي مقر السفارة المصرية بتل أبيب حيث كان استقبال السفير محمد بسيوني لي حافلاً أزاح عن كاهلي المشاعر القاسية التي انتابتنني منذ غادرت منزلي وحتى دخولي مبني السفارة المصرية ..

* مكان رأيت اسرائيل *

١٨٠

جلست اتابع لقاء ضم مجموعة من أعيان غزة ورموزها جاؤا يقدمون تهنئتهم للسفير المصري بمناسبة إعادة انتخاب الرئيس مبارك لفترة رئاسة جديدة ، واتابع عن قرب القضايا التي يطرحها أبناء غزة .. معاناتهم وآمالهم .. وبعد قرابة الساعة ودع السفير بسيوني ضيوفه وجلس بجانبه يراجع معي جدول اعماله ويسدي الي النصيحة في اضافة اسماء جديدة من الشخصيات التي يجب ان القاها في الأرض المحتلة ..

سألني السفير محمد بسيوني : متي تريد أن تبدأ ؟ .. قلت : الان .. امسك سماعة التليفون وراح يجري اتصالاته .. كنت اتابع الحديث الودي الذي جري بينه وبين كل من الجنرال الاسرائيلي الشهير ابراهام تامير ولطيف دوري سكرتير رابطة الصداقة الفلسطينية الاسرائيلية وهما من اليهود المؤيدين للحق العربي ، وكذلك الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم .

ووجدت نفسي ادخل في دوامة العمل منذ الساعات الاولى لوصولي الي اسرائيل .. وكان اللقاء الأول مع الجنرال « ابراشا » كما يطلقون عليه في اسرائيل صحبني لطفي عليوة الملحق الصحفي بعد أقل من ساعتين من وصولي للسفارة المصرية الي مجمع « دزينجوف » الشهير في قلب تل ابيب .. وفي منطقة تجارية تعج بالبشر .. الحركة سريعة .. الايقاع سريع .. وامام دزينجوف تذكرت صديقي الفنان

محمود عبد العزيز واحداث مسلسل رأفت الهجان ، ولا أعرف لماذا
تصورت انني سألتقي بمحمود عبد العزيز في هذا المكان وكذلك
«استر» الجميلة وباقي نجوم مسلسل الهجان !

استقبلنا الجنرال السابق «ابراشا» وجهه لا يبتسم ، ومنذ بداية
اللقاء حدد لنا مدة اللقاء ، ليس أكثر من ساعة ونصف ، كان ابراشا
هو أول اسرائيلي التقى به في حياتي وبيته المتواضع هو أول بيت
يهودي ادخله .. شقة ضيقة لكنها جيدة التأثيث .. البار يحتل مكانا
بارزا في مدخلها .. سألتني زوجته في أدب ورقة عن المشروب الذي
افضله ثم راحت تحضر عصير الليمون وتسألني عن مصر وتحكي
عن ذكريات زيارتها واعجابها برقة المصريين بينما رحت أتأمل تل ابيب
من هذا المكان العالي .. لا شك أنها مدينة جميلة .. البنايات شاهقة
ولونها أبيض يعانق الاشجار والنباتات المنتشرة في كل مكان ،
الزحام يغلب علي شوارعها .. زحام سيارات وبشر .. لكن المرور شديد
النظام .

لا تزال زوجة ابراشا توجه لي اسئلتها ، انطباعاتي عن تل ابيب
التي وصلت اليها منذ ساعات قليلة وأنا لأزال في حالة عدم توازن،
ثم بدأ جهاز التسجيل يدور فانطلق ابراشا في الحديث بجدية عن
المواقع المرموقة التي شغلها في جيش الدفاع الاسرائيلي والتي شارك
من خلالها في جميع الحروب التي شهدتها الصراع العربي

الاسرائيلي... الي أن وصل إلي أن يكون أقرب مساعدي مناحم
بيجين رئيس الوزراء الاسبق.

كان ابراشا يتحدث بصوت عال جدا وعصبي .. أما ماكان
يصلني من ترجمة عبر لطفي عليوة الذي يتحدث العبرية بطلاقة
كلمات ناعمة تحمل منطقا سويا ، وبعد قرابة الساعة بدأ ابراشا
يتحدث بصوت نبراته يسودها الهدوء وبدأت أساريه تنفجر
ويبتسم أحيانا ويضحك كثيراً .. فقد انتهى من حديث ذكريات الحرب
، وبدأت رؤيته لمرحلة السلام القادم علي المنطقة ، وفي هذا اللقاء ..
قال الجنرال ابراهام تامير كلاماً مهما عما أحدثه نصر أكتوبر من
تغييرات جذرية في المجتمع الاسرائيلي ونظرته لقضية الأمن بشكل
عام .. وأعجبني وصفه للمستوطنات الاسرائيلية بأنها قنبلة موقوتة،
وان استمرارها يعني القضاء علي اسرائيل ..

وأبدت له دهشتي من أن اسمع منه مثل هذه الكلمات عن السلام،
وقد كان واحدا من صقور الحرب في الآلة العسكرية الاسرائيلية
وشرح لي ابراشا تفاصيل هذا التحول، لكنني توقفت عند كلماته التي
قالها بانفعال شديد (لقد مللنا الحرب، وأن الحرب تعني الدمار
والدموع وفراق الأحباء .. أما السلام فيعني الحياة بكل ما فيها من
مباهج وتواصل!..)

خرجت من بيت ابراشا والدهشة الكاملة تتمكنني فلم أكن قد



أعددت نفسي لسماع كلام كالذي سمعته ، وكان موعدي مع لطيف دوري قد حان ، وعندما جلست اليه استمع لاجاباته علي أسئلتني المتلاحقة بدا لي أن في اسرائيل تيارا لديه قناعة عميقة بضرورة إحلال السلام ونبذ الحرب ، ولكن مفهوم السلام الذي تنادي به التيارات في اسرائيل مفهوم متباين وتفسيرات كل طرف لشكل وتفاصيل هذا السلام تمثل تناقضات عميقة تحتاج الكثير من الوقت حتي تتلاقى علي طريق سلام عادل يعطي لكل الاطراف حقوقها المشروعة .

السلام الذي يراه المواطن الاسرائيلي لطيف دوري سكرتير رابطة الصداقة الاسرائيلية الفلسطينية .. سلام ايجابي يستنكر القهر والظلم والاستبداد ، وينبذ الاحتلال بكل آثامه وتناقضاته سلام يطالب بالحق العادل ومشروعية ان يعيش اليهود والعرب علي أرض واحدة وأن ينشأ بينهم سلام اجتماعي ، ان سلام لطيف دوري ومن قبله ابراهام تامير سلام ايجابي ، ولكن هل هناك كثيرون في اسرائيل يؤمنون بمثل ما يؤمن به هذان الرجلان ؟ ..

هذا السؤال الذي استغرق مني ساعات طويلة من الليل والنهار وطوال اسبوعين بحثاً عن اجابات شافية له ، ربما ساهم هذا الكتاب في تغطية جانب من تلك الاجابة .

كان اليوم مرهقاً .. مرهقاً جداً .. التقيت خلاله بثلاث شخصيات

وأجريت حوارين طويلين .. كان علي أن اعود من تل أبيب الي القدس حيث كان اصراري كبيراً أن تكون مقراً لاقامتي طوال الرحلة .. المسافة بين تل أبيب والقدس تستغرق حوالي الساعة ، ركبت تاكسي من أمام أحد الفنادق وفوجئت به يطلب مني ٢٣٠ دولار ، رحت أتأكد من الرقم في دهشة (٢٣٠) دولار .. ليه؟! قال السائق الفلسطيني طبعاً ده تاكسي مخصوص .. قلت في نفسي وافرض مخصوص ٢٣٠ دولار؟! لاحظ السائق دهشتي فقال : التاكسيات هنا غالية بالنسبة لكم فانت تستطيع ان تركب من القاهرة الي الاسكندرية بمثل هذا الثمن .. قلت : بل تستطيع ان تذهب بنصف هذا المبلغ من القاهرة الي اسوان انت متأكد ان الاجرة ٢٣٠ دولار امريكي .. ضحك واخرج قائمة التسعيرة فوجدتها (٢٧٠) دولار وابلغني السائق انه خفض لي ٤٠ دولاراً لأنني مصري (والمصريين حبايبنا) دفعت صاغراً وأنا اقول صوت مسموع (عمار يا مصر) ..

لم أقاوم رغبتي الشديدة في النوم فقد كنت متعباً جداً ، ولم افق إلا علي جرس التليفون في الثامنة إلا ربع صباحاً وصوت عربي يقول استاذ محمد نحن في انتظارك في اللوبي لتتناول الافطار سوياً .

- مين حضرتك ؟

- انا جيل من ادارة المراسم بوزارة الخارجية ومعني بعض

الزملاء.



- حاضر .. ساكون جاهزا بعد ١٥ دقيقة

في بهو الفندق وجدت عددا من الأشخاص ينتظرونني .. اثنين من وزارة الخارجية - السائق المرافق - مسئول مكتب شركة السياحة التي ستنفذ برنامج رحلتي - مذيع يهودي مصري يعمل في التلفزيون الاسرائيلي، وذهبنا جميعاً الي المطعم .

للحق أقول ان جيل موظف وزارة الخارجية ، وهو شاب صغير السن .. كان غاية في الذوق والأدب وهو يرحب بي ويقدم استعداداه لتسهيل مأموريتي ، ولا أعرف لماذا اخذتني حماسة عنترية عندما قلت له : اسمع ياسيد جيل أرجو أن يكون واضحاً أن أي تسهيل ستقدمه لي لن يقابله اي تغيير في وجهات نظري وقناعاتي وموقفي وبالتالي ما ساكتبه عن رؤيتي هنا .. بصراحة أنا لم أت لأروج لاسرائيل.

التفت الي جيل في دهشة وصنع علي شفتيه ابتسامة راحت تنقل الي انطباعاته ، ماذا تقول يارجل وهل طلب منك أحد ذلك؟ لم يقل جيل هذه الكلمات لكن ابتسامته ونظرات عينيه راحت تقول لي ذلك بالنيابة عنه .

في أدب شديد قال جيل .. محمد .. انا هنا لأودي واجبي نحوك كصحفي ، انها مسألة مهنية نقوم بها نحو أي صحفي زائر لبلادنا، واسألهم جميعا هل طلبنا من أيهم ان يكتب أو لا يكتب .. بالمناسبة نعرف أنك لا تحب اسرائيل .. لكن أنت حر .. صدقني كثيرون

* هكذا رأيت اسرائيل *



يفهموننا خطأ .

شعرت بخجل شديد ، فقد أحسست أنني تسرعت وأنني تصرفت بعيداً عن اللياقة ، وانه كان علي ان انتظر فاذا طلب مني أحد شيئاً لا يتمشي مع رأيي وقناعاتي رددته .

المهم جلس جيل وزميله ادمون يناقشان برنامجي وكان ابرز ما فيه ... الحديث مع بعض اشخسيات الاسرائيلية والفلسطينية حددتها في كشف سلمته له ، وزياراتي لمناطق مثل مبني الكنيست ومركز الهاواسا الطبي ومناطق عديدة في الضفة الغربية وحيفا وعكا ورأس النافورة والجولان اضافة لغزة واريحا .

وافق جيل علي كل البرنامج باستثناءين .. أولهما الذهاب الي غزة حيث الأحداث ملتهبة هناك ، والثاني مقابلة عزرا وايزمن رئيس الدولة حيث يحظر عليه لقاء الصحفيين والتحدث اليهم خاصة في الشؤون السياسية والاحداث الراهنة !

قلت اتركوا لي غزة ووايزمن سنأحاول بنفسي ، وكذلك لقاء الشخصيات الفلسطينية فلم اكن في حاجة لوساطة الاسرائيليين في اتمام لقاءهم اضافة الي انني كنت احمل عددا من رسائل توصية خاصة من الصديق غازي فخري المسئول الثقافي في سفارة فلسطين بالقاهرة ، وفي القدس كان لي أصدقاء أبرزهم الصحفي الفلسطيني اسماعيل عجوة الذي صحبني في لقاءات عديدة ومناطق كثيرة اثناء



زيارتي .

كنت شغوفاً أن أعرف كل شيء ، واري كل شيء واسجل كل هذا ..
استخدمت كل ادوات الصحفي .. الورق والمسجل والكاميرا ..
بالاضافة الي ما اختزنه عياني ، وكنت مرغما أن أقارن ماأراه
وأسمعه بما لدي من معلومات مسبقة وقراءات عديدة .

امتدت رحلتي اسبوعين ، كنت خلالهما اعمل ساعات طويلة .. كان
يومي يبدأ عادة في السابعة صباحاً ، وينتهي بعد الثالثة صباحاً ،
ولم اكن احصل الا علي قدر ضئيل جداً من النوم لكن الحماس والدأب
كانا وقودين لهذه الرحلة الشاقة .

ولم يسلم الأمر من مخاطر عديدة تعرضت لها مثلما حدث عندما
كنت عائداً الي الفندق في سيارة الصديق الصحفي اسماعيل عوجة
من احد قري الضفة الغربية، وفوجئنا بطلقات نارية بالقرب من
الطريق الذي كنا نسير فيه وقد استوقفتنا دورية اسرائيلية .. فحصت
أوراقنا وطلبت منا الانتظار حتي ينتهي الاشتباك بين افراد الشرطة
الاسرائيلية وبين رجال «حماس» ولأكثر من ساعتين ظللنا في مكاننا
داخل السيارة ننتظر الفرج وطلقات الرصاص لا تنقطع حتي انتهى
الاشتباك وسمحوا لنا بالتحرك .

وكثيرا ما كان يتكرر هذا المشهد ، ورغم ان اصدقائي بالقاهرة
نصحوني بعدم التحرك ليلا الا انني اكتشفت انني غير قادر - وسط

* هكذا رأيت إسرائيل *



برنامجي المزدحم - علي التمسك بأية نصيحة.

وفي غزة وبينما انا في سيارة احد عناصر حركة حماس تجوب
بي الشوارع الضيقة المؤدية الي مخيم الشاطئ .. اخذت التقط
الصور ، فالصور لها أهمية مضاعفة في مثل هذه المهمات الصحفية
الخاصة ، فجأة قفز أمام السيارة شاب يحمل (كليشنكوف) وأمرنا
بالنزل ، فما كان من مرافقي إلا أن صرخ في وجهه سائلاً عن اسمه
واقترب منه وهمس في أذنه بكلمات لم اسمعها .. انسحب علي أثرها
الشاب في هدوء شديد ليقول لي صاحبنا صور يا استاذ ما تريد ..
دا ولد زعران ما بيسوي .. صور لا تخاف ..

أما أكثر لحظات الخوف الانساني التي انتابتني خلال هذه الرحلة
فكانت داخل حائط المبكي .. فقد اعتذر مرافقي أدمون وهو يهودي
من أصل يمني - عن مرافقتي الي المسجد الأقصى بالسيارة
فأوقفها بعيداً عن المسجد وأشار لي من بعيد عن الطريق الذي أسلكه
للدخول الي المسجد، ولم يشأ الاقتراب حيث يقوم الصبية بالقاء سيارات
الحكومة بالحجارة .. مشيت في الطريق الذي أشار لي عليه متجهاً
إلي أحد أبواب المسجد الأقصى ، وإذا بي أجد نفسي وسط مجموعة
من الرجال يضعون الطواقي السوداء علي رؤوسهم وقد طالت لحاهم
وارتدوا ملابس تشبه ملابس السهرة باللون الأسود ، وفي أيديهم كتباً
واخذوا يميلون للأمام تارة والي الخلف تارة اخري ، وهم يتمتمون



بكلمات غير مفهومة ووجوههم متجهة الي حائط كبير .. ياألهي .. انه حائط المبكي الذي قرأت عنه ، لم يصادفني رعباً طوال حياتي مثلما تملكني رعب هذه اللحظات ، لم يكن في برنامجي أن أزور حائط المبكي وأن اقف في هذه الساحة الكبيرة بين اليهود المتشددين الذين يسمونهم «ارتودكس».. لم اجرؤ علي استخدام الكاميرا التي أحملها ، وماهي إلا دقائق قليلة حتي بلغ الرعب مداه فوجدت نفسي أهول خارجاً من ساحة حائط المبكي ، وفجأة ظهرت أمامي حسناء ترتدي ثياب الجيش الاسرائيلي التي تميل الي اللون الاخضر ، وتحمل في يدها رشاشاً صغيراً ، وفي جديّة شديدة قالت لي بالعربية : توقف من فضلك .. تسمرت في مكاني ، فقد كان رعب مشهد الدقائق لا يزال يجتاحني ..

- ماذا تحمل في يدك ؟

- كاميرا ..

- هل هي ملك لك ؟

- طبعاً..!

- من وين أنت ؟

- مصري ..

- ليش أنت موجود هنا ؟

* هكذا رأت اسرائيل *



- أنا في مهمة صحفية .
- افتح الكاميرا واضرب صورتين في اتجاه هذا الحائط .
- حاضر .. كده كويس .
- ابتسمت الحسناء - الضابطة - وانفرجت أساريرها وأنزلت
الرشاش وقالت بدلال : عجبك اسرائيل ؟!
- نظرت الي عينيها وقلت جداً .
ووسط هذا الزحام من المشاعر والمخاطر ، كانت تصلني ثلاثة
أصوات من مصر عبر الهاتف تشجيني وتشد من أزرعي ، فقد
استطاعت زوجتي ان تحتفظ كالعادة برباطة جأشها فتسألني بحذر
عن أحوالي ونجاح مهمتي في كلمات واثقة وحميمة ، وكذلك كان
الصديق العزيز الصحفي أحمد نور الدين يسأل عن أحوالي بذكاء
دون أن يطلب تفاصيل ربما تسبب لي احراجاً اذا ما كان الخط مراقباً
وكدت اسمع عبر اسلاك الهاتف نبض قلب أحمد نور الدين يدعولي
بالتوفيق .. أما شقيقي سعيد فقد حاول أن ينقل لي أخباراً سعيدة
عن أسرتي وعائلتي وكذلك عن أعمالي بالقاهرة ..
كانت لحظات الخوف الانساني في اسرائيل كثيرة .. كثيرة جداً
وكانت رحلة اليوم الواحد الي غزة شديدة الرعب والقسوة علي
النفس ، فبالاضافة للأحداث الملتهبة التي تصادف وقوعها يوم ذهابي



والاشتباكات الدامية بين القوات الاسرائيلية وعناصر حماس وحزب الله .. كانت هناك المشاعر القاسية بسبب التدهور البيئي الحاد الذي شاهده في غزة اضافة الي الافتقاد الكامل للبنية الأساسية لهذه المدينة التي عانت كثيراً من ويلات الاحتلال فاصابتها شيخوخة مبكرة وإن بقيت آثار الأصالة العريقة تطل من خلال بعض منازل أعيان غزة .. فقد تناولت طعام الغداء في منزل الدكتور اكرم مطر ، والذي يطلقون عليه «البيت الأبيض» داخل هذا البيت الفسيح وفي حديقة الفناء قطع من الآثار الفلسطينية القديمة .. أما خارج البيت الأبيض الغزوي بخطوات قليلة فحدث ولا حرج . مياه الصرف الصحي وأكوام القمامة والحيوانات النافقة والروائح الكريهة .. تدهور بيئي لا مثيل له .

كنت شغوفاً لرؤية الجولان ، وقد أبدي مرافقي دهشته من طلبي زيارتها .. لكنه استجاب أمام اصراري .. كنا وقتها في يافا وأمانا عدة ساعات قبل أن نصل الجولان مروراً ببحيرة طبرية ، وقبل ان نصل الى الهضبة المطلة علي البحيرة توقفنا عند مطعم شهير يديره عدد من اليهود من أصل عربي وهو متخصص في تقديم نوع واحد من السمك هو سمك (موسي) ، ورغم ازدحام المطعم الكبير عن آخره فقد حرص العاملون فيه - بعد أن عرفوا من مرافقي جنسيتي - علي الترحيب بي .. كانوا ينتهزون أي فرصة ليسألوني هل سيتحقق السلام بالفعل بعد اتفاق غزة - أريحا ؟ .



إن حجم السياحة في منطقة بحيرة طبرية كبير جداً لدرجة أن عشرات الفنادق التي أقيمت علي حافة البحيرة تكتظ بالسياح وحركة المطاعم والمحلات الكثيرة بالمدينة سريعة وحيوية للغاية أما الأسعار فهي نار .

بدأت رحلة الصعود الي الجولان ، وفي الطريق كنت أشاهد تجمعات (الكيبوتز) و (الموشاف) .. زراعات الموز والفواكه والخضروات تنتشر علي جانبي الطريق ، وكذلك بدت معدات استصلاح الأراضي تعمل في نشاط لتجهيز مزيد من الأراضي الزراعية .. الميكنة الزراعية تسود أسلوب الزراعة في كل المناطق التي رأيته في الأراضي المحتلة خاصة في الجولان .

عندما وصلنا الي قمة الهضبة رأيت بوضوح المواقع السورية الحصينة التي احتلتها اسرائيل ولفت انتباهي بشدة أن كثيراً من هذه المواقع كان سليمان أمام احد هذه المواقع الحصينة التقطت أنثاي كلمات أحد المرشدين السياحيين الاسرائيليين وهو يشرح لمجموعة من السياح :

من هنا كان يقذفنا السوريون بالمدافع والحجارة ، وكل شيء ، كانوا يملكون القمة ، وكنا نقبع في السفح ، واليوم يطالبوننا بالتخلي عن الجولان .. انهم مجانين !!

طلبت من مرافقي أدمون أن أزور بعض المستوطنات الاسرائيلية



فوق الجولان فوافق علي الفور واخذت اطوف علي مستوطنة بعد
الأخري :

« إن من يشاهد تجهيزات هذه المستوطنات لا يمكن أن يصدق أن
الاسرائيليين قد شيدها علي هذا النحو لكي يتركوها .. لقد اقاموا
بداخلها كل وسائل الحياة العصرية وأدوات الترفيه بكل انواعها من
مطاعم وملاعب وديسكو وغيرها .. أما التحصينات القريبة من
المستوطنات فهي تعكس بوضوح مدي الخوف الذي يسيطر عليهم وأن
(الأمن) هو الهاجس الأول والأخير بالنسبة للاسرائيليين » .

كانت الحدود الأردنية تبدو واضحة من فوق قمة هضبة الجولان
وجزاء من الأراضي اللبنانية أيضاً .. أما الأكثر وضوحاً فكان حجم
المأساة .. فكيف استطاعت اسرائيل احتلال كل هذه الأراضي ١٩
واغرقنتني محاولة البحث عن اجابة لهذا السؤال في موجة من الحزن
لم تدعني انتبه لمرافقي الذي حاول كسر ملل رحلة العودة ببعض
الكلمات التي حفظها من الافلام المصرية التي تعرض في التلفزيون
الاسرائيلي بعد ظهر كل يوم جمعة وتجذب اليها كثيراً من
الاسرائيليين .

كانت مهمتي شاقة ومثيرة في نفس الوقت .. فقد كنت حريصا
علي رؤية ملامح الصورة من مختلف الزوايا ، وبهذا المنطق تعرفت
علي مختلف التيارات السياسية وحجم التناقضات الكثيرة التي يموج



بها هذا المجتمع ، وكنت حريصاً ايضاً علي رصد نبض الرأي العام الفلسطيني والاسرائيلي وردود فعله تجاه السلام .

كان اهتمامي مكثفاً فى رصد أى اندماج ثقافى قد حدث بين العرب والاسرائيليين .. كانت مهمتي بطبيعتها شاقة خاصة مع ما يضاف اليها من مشاعر قوية ضاغطة علي أعصابي ووجداني ، ولعله لهذه الأسباب بدأت علي الفور في تسجيل كل لقاءاتي والتحقيقات الصحفية التي أجريتها في الارض المحتلة وذلك فور عودتي الي القاهرة مباشرة ، ونشر جانب كبير منها في جريدتي السياسة الكويتية والشرق القطرية .

واهتمت وكالات الأنباء العالمية والعربية بما نشر وكذلك العديد من الصحف المصرية وعدد غير قليل من الاذاعات الاجنبية .

لكني وبعد عام علي قيامي بهذه الزيارة الي اسرائيل اكتشفت أنني لم أقل كل شئ ، ولم اكتب كل الذي كنت اريد ان اكتبه ..

من هنا جاءت فكرة هذا الكتاب (الوثيقة) لكي أسجل فيه الذي لم تسمح الظروف بنشره ولم يتسع وقتي لتسجيله .. وكلى أمل أن يدرك القارئ العزيز وأن يتذكر أن أحداث هذا الكتاب كانت بعد الحدث الزلزال - اتفاق غزة - أريحا .. ولعله يدرك ايضاً ما قد يبدو من خلال سطور الكتاب من معاناة في تسجيل المشاعر والافكار .. فلم يكن هينا ولا سهلاً علي رجل مثلي ان يذهب الي اسرائيل !

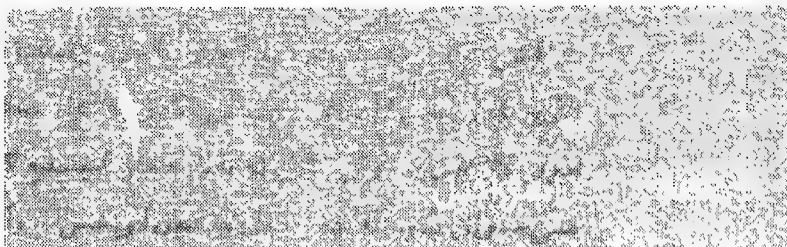


وهكذا يمكنني تسميتها برحلة «التحدي مع النفس» ..
يبقي أن أسجل شكري وتقديري .. للكاتب الكبير الاستاذ
سعيد سنبل .. ولتلبينه الكريمة لرغبتي الحميمية في ان يقدم للقراء
الأعزاء هذا الكتاب..

محمد مصطفى

مارس ١٩٩٥ م





* الإسرائيليون فقدوا كبرياءهم
وعنجهيتهم ويشعرون بأنهم
يهود الماضي.

* ٦٥٪ من الإسرائيليين
والفلسطينيين ما زالوا
يتبادلون مشاعر عدم الثقة.

* المثقفون الإسرائيليون
يتسترون خلف جدار
السخرية والتظاهر بعدم
المبالاة.

عودة
إلى
الجزور

في كل رحلة أقوم بها أعمل بالمثل الإنجليزى
الذى يقول: «إن المسافر يجب أن تكون له عينا صقر
ليرى كل شىء.. وأن تكون له أذنا حمار ليسمع كل
شىء.. وأن يكون له ظهر جمل ليتحمل أى شىء.. وأن
تكون له ساقا معزة لا تتعبان من المشى»..

وإن كنت قد عملت على تطبيق هذا المثل فى كل
رحلاتى الصحفية السابقة، فإننى فى هذه الرحلة كان
على أن أضع هذا المثل نصب عيني وأتخذه نبراساً
أحتذى به فى كل خطوة منذ اللحظة الأولى التى صعدت
فيها إلى سلم الطائرة، فالرحلة هذه المرة تختلف عن
كل ما سبقها .

عندما قررت السفر إلى إسرائيل بعد توقيع
اتفاق المبادئ الفلسطينية الإسرائيلية بأيام قليلة
كانت هناك العديد من العلامات الاستفهامية التى
فرضت نفسها على أعماق تفكيرى.. وتضاربت كلها
فى رأسى.. من أين أبدأ؟ وكيف؟ وإلى أين سأصل؟
وغيرها وغيرها من أسئلة كبيرة.



وأنا في الطائفة عادت بي ذاكرتي إلى جذور القضية.. فلقد كان اتفاق المبادئ دافعي ومحركي الأول للقيام بهذه الرحلة.. بكل ما أثاره من عواصف على مستوى الوطن العربي والعالم أجمع، إلى الحد الذي شبه البعض فيه هذا الاتفاق بالزلزال الذي هز كل الأركان باعتباره حدثاً فريداً جاء نتيجة لأحداث سابقة – متنوعة متعددة ومتشابكة بكل خيوطها العنكبوتية التي شارك البعض في نسجها واكتفى البعض الآخر بأن يلعب دور المتفرج.

وأجدني أعود إلى ذاكرة القضية من بدايتها، منذ ما حدث في الحربين الأولى والثانية من وقوف يهودي مخطط ومنظم مستهدف بجوار دول الحلفاء وبريطانيا بالذات – تلك الوقفة التي لم تكسب اليهود خبرة ومهارة الحروب وتكتيكها وأسلحتها فقط.. ولكن أيضاً أسفرت – وهذا هو المهم – عن بلورة الكيان اليهودي ووضعت أولى الخطوات الرسمية الجادة في بنائه، بداية من وعد وزير خارجية بريطانيا – بلفور عام ١٩١٧م – الذي أعطى «ما لا يملك لمن لا يستحق...»

والذي نجم عنه بعض ردود الأفعال الفلسطينية سواء من خلال الجمعيات الفلسطينية الإسلامية والمسيحية لبث الوعي الوطني ضد الاستعمار، أو بأعمال المقاومة العنيفة والمظاهرات الضخمة ضد الإنجليز والمستوطنات اليهودية والتي وصلت لذروتها في الاضطرابات العربية الكبرى، ومروراً بإعلان قيام إسرائيل واعتراف الأمم المتحدة بها عام ١٩٤٨م وما تلاه من سلسلة مضيئة من الحروب العربية الإسرائيلية أعوام ٤٨ – ٥٦ – ٦٧ – ٧٣.. وما تخللها من مشروعات واقتراضات، اتفاقيات وانتهاكات.. حتى مبادرة السادات للسلام عام ١٩٧٧م.. التي قلبت الموازين ووضعت القضية على مسار

جديد باتفاقية «كامب ديفيد».. وصولاً إلى اتفاق المبادئ الفلسطينية الإسرائيلية غزة - أريحا أولاً... وهكذا سرقت منى ذاكرة القضية وقت الرحلة.. وللحقيقة أقول أنه عندما اقتربت الطائرة من مطار تل أبيب .. كنت أسأل الله أن تعود مرة أخرى إلى القاهرة.. ولكن ما باليد حيلة الآن فكما يقول المثل المصري «وقع الفاس في الراس».. وبعد دقائق كانت الطائرة تهبط على أرض مطار «بن جوريون».

وبدأ مشوار التحدى مع النفس .. وكان على أن أخرج كل الأسئلة من إطار العلامات الاستفهامية إلى إجابات من فوق أرض الواقع، هذا الواقع الذي عشت وتعايشت معه طوال أكثر من أسبوعين يؤكد أن إسرائيل التي رأيته تختلف كثيراً عن إسرائيل التي أعرفها من خلال كل هذا الكم الضخم من المعلومات التي تتوافر لكل من يعمل مثلي لسنوات طويلة في بلاط صاحبة الجلالة ... إن ذاكرة القضية التي استرجعها وأنا في الطائرة جعلتنا نبالغ في تضخيم حجم الواقع الذي شاهدته ولسته وعاشته .. خاصة وإننا كعرب عشنا سنوات طويلة منذ عام ١٩٤٨م مصريين بإرادتنا على أن تظل إسرائيل لغزاً غامضاً بالنسبة لنا .. لقد وضعت نصب عيني أن أغوص في هذا المجتمع لأكشف هذا اللغز.

وجدت في إسرائيل مجتمعاً يموج بالشكوى.. تسيطر على أفراده سرعة الانفعال والتقلب ويسودهم انقسام عميق فيما يتعلق بأولوياتهم السياسية والمادية والروحية... وجدت دولة يتسم مجتمعها بالعديد من المتناقضات والانقسامات بحيث يمكن أن نطلق عليه بركاناً للاختلافات نظراً لعدم تجانس مكوناته البشرية ونزعاته الدينية.



* هكذا رأيت إسرائيل *

لقد قال لى أحد المثقفين الإسرائيليين الذين ولدوا فى إسرائيل: «إن إسرائيل لا تزال دولة يهودية فيما يتعلق بزعامتها إلا أنها أصبحت مجتمعاً ثنائى القومية فى حياتها اليومية» فقد كان اليهود يمثلون ٨٤ فى المائة من عدد السكان قبل عام ١٩٦٧م غير أن امتداد الإدارة الإسرائيلية إلى المناطق التى احتلت فى حرب الأيام الستة أضاف مليون شخص عربى إلى عدد السكان وهو ما يعد أكثر من ضعف عدد المهاجرين اليهود الذين تم استيعابهم خلال السنوات الثلاث الأولى لقيام دولة إسرائيل. وفى الوقت الحاضر يمثل السكان اليهود داخل أراضى إسرائيل - التى اتسعت بضم الأراضى العربية المحتلة تحت سيطرتها - ٦٥٪ فقط من سكانها، ويقدر بعض أخصائى التعداد بأن هذه النسبة ستصل إلى ٥٠٪ عند نهاية القرن إذا لم تنسحب إسرائيل من الأراضى المحتلة أو تستقبل أعداداً كبيرة من المهاجرين.

لأول مرة، لم يعد فى وسع الإسرائيليين اليهود أن يتمتعوا بالإجماع فيما يتعلق بهدفهم القومى والوسائل التى تكفل استمرار حياتهم الكريمة. فقد كانت هناك مجموعة من القيم الوطنية العلمانية بصفة أساسية - شارك فيها الكثيرون من يهود العالم - تسود المجال السياسى، وفى السبعينات من هذا القرن بدأ هذا الإجماع يتصدع وتركت الاختلافات الأيديولوجية أثرها فى أكثر مسائل الأمن القومى حساسية. ومع تزايد تكاليف متطلبات الأمن وتعقدها انخفضت الموارد المتبقية للبرامج الاجتماعية المحلية بشكل تناسبى مما أدى إلى ازدياد حدة المناقشات حول الأولويات.

وقد أصبح الاستقطاب والتناحر داخل المجتمع اليهودى، ناهيك عن التناحر بين اليهود والعرب - مصدراً للقلق. فالدولة لم يعد لها الطابع اليهودى

المحدد السمات، كما أن الاختلافات فى الخلفية الثقافية والطبقة الاقتصادية والأيديولوجية وإقامة الشعائر الدينية أصبحت تثير شقاً حاداً بشكل متزايد. فالإسرائيليون المعتدلون كانوا يعتبرون الحاخم المتعصب «مثير كاهانا» إنساناً «كريباً» بسبب نشاطه الإرهابى البالغ التطرف ضد العرب، وبالرغم من ذلك فقد فاز بما يقرب من ٢٦,٠٠٠ صوتاً فى انتخابات عام ١٩٨٤م وهى نسبة كفلت له الحصول على مقعد فى الكنيست، وحتى قيام الحكومة بحملة لاتخاذ إجراءات صارمة لفرض النظام عام ١٩٨٤م، كان القانون والنظام فى الضفة الغربية مهدداً ليس فقط من قبل العرب المتمردين ولكن أيضاً من قبل مجموعات صغيرة من المستوطنين المتطرفين الذين عقدوا العزم على أن يتولوا الأمور بأنفسهم كأعضاء فى لجنة أمن أهلية، متحدين قوات الأمن الإسرائيلى بل والحكومة نفسها فى واقع الأمر.

والواقع يؤكد أن التقاليد السياسية التى قامت عليها إسرائيل الحديثة تشكلت وتطورت إلى ثقافة سياسية جديدة نمت محلياً، وبدأ يزول مع مرور الأجيال ما كان يسمى بنمط (ميتل أوربا) أى القومية الديمقراطية الاجتماعية التى ظهرت فى ألمانيا، النمسا، المجر، بولندا وبالروسية حيث تم لأول مرة تحديد شكل الدولة اليهودية المستقبلية ولم تعد إسرائيل مجتمعاً للمهاجرين، فمعظم الإسرائيليين اليوم من مواليد إسرائيل، كما لم تعد مجتمع رواد مستعداً لتحمل الصعاب فى سعيه لتحقيق مهمة مقدسة... والثقافة السائدة هى ثقافة بلد مزدهر يتقدم إلى الأمام تحيطه صعوبات اقتصادية حيث يكمن فى براعة تنظيمه للإنتاج الاقتصادى الذى يمثل مفتاح بقائه.



كذلك فإن من أكثر التناقضات التي يعيشها المجتمع الإسرائيلي التناقض الثقافي الواضح بين اليهود الشرقيين والغربيين من حيث التقاليد والالتزام الدينى والذي تسببت فيه الظروف البيئية للمجتمعات التي أتوا منها.. كما أن اتساع الفجوة بين الطرفين والذي يتضح فى ضعف الإمكانيات المادية لليهود الشرقيين فى الوقت الذى يعيش فيه اليهود الغربيين فى رفاهية فى ظل إمكانيات مادية قوية.. إن التقاليد الثقافية القديمة والفوارق الطبقيّة الحديثة بين اليهود (الاشكناز) الغربيين وبين (السفرديم) الشرقيين.. قد لعبت دوراً سياسياً ومهما فى الحياة السياسية الإسرائيلية وسببت انقساماً بدا فى صورة واضحة فى النزاع بين التيار العلمانى السائد فى صفوف الجماهير الإسرائيلية وبين الأقلية الدينية المحافظة والمتحمسة.

ويشعر الإسرائيليون فى قرارة أنفسهم بأنهم شعب ليس متجانساً من حيث الأصل - إن أكثر من نصفهم من سلالة أسيوية وأفريقية وهم يختلفون جوهرياً عن الأوروبيين.. ومن ثم نجد أن أحدهما فى وضع مادى واجتماعى مرض، والآخر يعانى من الفقر وسوء الأحوال.. اليهود الغربيون يعيشون حالة من الرضا الذاتى واليهود الشرقيون يعيشون حالة تذرر اجتماعى.. فالإحصائيات تؤكد أن حوالى ٨٠٪ من مجموع الذين يعتمدون على الخدمة الاجتماعية التى تقدمها الدولة هم يهود «شرقيون» كما يعيش ٣٠٪ من السكان فى المدن الرئيسية مثل «تل أبيب» و«القدس» و«حيفا» و٥٢٪ منهم فى المدن الأخرى، كما يعيش فى القرى ١٨٪ وتضم التقسيمات الريفية التى تقوم على المساواة أقل من ٥٪ من مجموع السكان.

ومن الحقائق التي يمكن أن تلمسها بسهولة من متابعة سريعة للمجتمع الإسرائيلي أن الإسرائيليين ليس بإمكانهم - نظراً للاختلافات الأيديولوجية التي تحكمهم - وليس باستطاعتهم الإجماع فيما يخص هدفهم القومي، نظراً للتناحر داخل المجتمع اليهودي - «اليهودي» و «اليهودي - العربي» كما أن للاختلافات الدينية اليهودية تأثيرها السلبي والذي يصل أحياناً إلى حد الإرهاب على النحو الذي تقوم به حركة «كاهانا» وبعض المتشددين الدينيين من تيارات مختلفة.

لكل هذه الأسباب وغيرها فإن التوجه داخل معظم التيارات السياسية الإسرائيلية هو العمل من أجل السلام مع الفلسطينيين ومع دول المواجهة العربية للخروج من هذه التناقضات وسد فوهة هذا البركان.

ولعل من المهم أن نشير إلى أن هناك تياراً قوياً داخل إسرائيل يحمل لواء الاعتماد على النفس في إصلاح الاقتصاد الداخلي بعد أن بدت تحولات ذات مغزى في المواقف الأمريكية عن دعم إسرائيل اقتصادياً بنفس معدلات الدعم في السنوات السابقة - ويرى هذا الفريق من الخبراء أن تزايد التضخم بدأ يقضى على النمو الاقتصادي وأنه بدون استثمار حقيقى فعال فلن تكون هناك تنمية.. ومن ثم فإن أصحاب هذا الاتجاه يرون أنه لا بد من الاستمرار في السياسة التي انتهجتها إسرائيل منذ البداية والتي تتمثل في السياسة التصديرية خاصة في السلع التي تتميز بها إسرائيل مثل الماس المصقول وتصدير الزهور والملابس وهي السلع التي منحت الاقتصاد الإسرائيلي حيوية لسنوات طويلة.



ولأن العقلية الإسرائيلية تعتمد كثيراً على الإحصائيات وعلى عمليات قياس الرأى العام.. فإن هناك من يؤكد أن أكثر من ٦٥٪ من الإسرائيليين يعتقدون أن جيرانهم العرب لا يمكن الوثوق بهم وهى نفس النسبة التى تبدو فى الأوساط العربية بالنسبة للإسرائيليين وعلى الرغم من ذلك فلا يمكن تجاهل أن الشهور القليلة الماضية قد ساعدت على ظهور سيناريو جديد يمكن أن تستمر بعض مشاهده إلى الأجيال المقبلة حيث بدا أن الفلسطينيين والإسرائيليين قد تخطوا حواجزاً نفسية كثيرة ساهمت - ولاشك - فى اتخاذ خطوات فاعلة نحو تعاون سياسى بين بعضهم البعض من خلال اتفاق السلام «غزة - أريحا».

وهكذا أجد نفسى أعود من حيث بدأت.. أعود إلى اتفاق «غزة- أريحا أولاً» الذى كان دافعى ومحركى الأول للقيام بهذه الرحلة.. كما كان محوراً مهماً وأساسياً فى كل حواراتى مع المسؤولين على الجانبين العربى والإسرائيلى داخل إسرائيل.. وأيضاً فى كل استطلاعاتى من خلال تعايشى مع الشارع الإسرائيلى (بعربه ويهوده).

حقيقة أقول أن الصورة التى خرجت بها تبدو ملامحها فى الرغبة الأكيدة للمواطن الإسرائيلى فى إنهاء حالة الحرب مع جيرانه العرب.. ولكن - وآه من «لكن» هذه التى يرى فيها البعض تعبيراً يعكس ويقلب كل ما سبقها - الحقيقة أننى وجدت فى الشارع الإسرائيلى أن أغلبية واسعة من الإسرائيليين والفلسطينيين تؤيد اتفاق غزة - أريحا كديباجة للسلام والمصالحة بين الشعبين، ولكن هذا لا يمنع إحساس البعض منهم هنا وهناك



بالخوف من المجهول وهذه المشاعر تتجلى أحياناً من خلال تصرفات غريبة يسلكها الشباب الذين يشعرون بالتشوش والتيه نتيجة لهذه المصالحة التي نزلت عليهم كالصاعقة بدون تمهيد إعلامي أو نفسي سابق.

لقد اكتشفت من خلال عملية جس نبض لبعض الفئات الإسرائيلية بأن هؤلاء الناس يرفضون الاستسلام لخديعة أسلوب الخطب الرسمية ومظاهر البهجة وصور السعادة المصطنعة التي واكبت عملية التوقيع على اتفاق غزة - أريحا في واشنطن، ويتبع تشككهم في كل ما حدث من تخوفهم من المستقبل، فما الذي ينتظرهم بعدما يطاء عرفات الذي كان في تونس بالأمس أرض أريحا والذي قد يصل ذات يوم إلى أعتاب القدس نفسها، تسأل بعضهم من منا بوسعه أن يصدق أن عرفات من الممكن أن يتغير؟

والحقيقة التي لا يمكن إغفالها والتي لمستها من خلال معاشتي ومحاولتي الغوص في أعماق المجتمع الإسرائيلي هي أن إسرائيل فقدت بالفعل كل كبريائها وعنجهيتها، فهذا الشعب طالما عرفه الرئيس الفرنسي الراحل «ديجول» بأنه شعب الصفوة الواثق من نفسه والمسيطر، إهتزت ثقته في قدراته تماماً.. مع كل يوم يمر يتراجع الإسرائيليون خطوة إلى أن تملكهم الإحساس بأنهم يهود الماضي.

ثم إن ما يحدث تحت أنظارهم يفوق بالفعل كل تصور، إن المطلوب منهم يفوق قدراتهم ففي أقل من أسبوعين وجدوا أنفسهم مطالبين بتقبل فكرة تحول منظمة التحرير الفلسطينية من عصابة من السفاحين - كما كانوا يسمونها دائماً - إلى أقوى حليف لهم ضد التطرف وبأن احتلال الأراضي لم يعد هو

الشرط الأوحد لضمان الأمن والأمان بل على العكس من هذا التنازل عن هذه الأراضي هو الشرط الضروري «ما بين يوم وليلة» الذي سيكفل لهم هذا الأمن.

أحد الصحفيين الأوروبيين الذين التقيت بهم في تل أبيب علق قائلاً: «إن هذه التحولات السريعة طيرت عقل الشباب الإسرائيلي...» وآخر صيحة تبناها المثقفون في «تل أبيب» المتظاهر باللامبالاة التامة إزاء ما يجري، فأصبح من الذوق الهابط أن يتطرق المثقفون بالحديث عن هذا في مجالسهم الأدبية في المقاهي المخصصة لهذا الغرض وأصبح شغلهم الشاغل هو الحديث عن آخر معرض أو آخر فيلم عرض أو آخر حلقة من أتفه مسلسل.. إن أخبار الإثارة هي التي أصبحت تستحوذ على اهتمام الأدباء والفنانين وأحياناً تصلهم مكالمات هاتفية من أصدقائهم في نيويورك لسؤالهم عن رأيهم في الأحداث الأخيرة... فيستفسرون من السائل :

- ماذا تقصد ؟

- السلام بالتأكيد.

- اعذرني إنني لم أطلع الصحف في الأيام الأخيرة.

- هل تابعت مراسم الاتفاقية في التلفزيون؟

- أسف فانتني مشاهدتها لأنني في نفس الوقت كنت أتابع مسلسلي

المفضل على قناة أخرى.

وأحياناً تسمعهم يقترحون أن يبيعوا لعرفات ليس فقط القدس الشرقية بل أيضاً الجزء اليهودي منها «أى الجمل بما حمل» بما فيه الطبقة السياسية الحاكمة والكنيست وخصوصاً المتشددين. خلاصة القول أنهم يتسترون خلف

* هكذا رايت اسرائيل *

جدار السخرية والنكات الهزلية ليحموا أنفسهم من هذا العالم الذى أصبح لغزاً محيراً فى عيونهم.

ويرى جانب كبير من الساسة الإسرائيليين أنصار السلام الذين التقيت بهم - وهم كثيرون - أن السلوك طبيعى ومتوقع لأنه سيلزم مرور فترة من الزمن حتى يستوعب الناس معنى ما حدث.. فى البداية كانت نسبة المؤيدين تصل إلى ٤٠٪ أما اليوم فهى تزيد على ٦٠٪ ونفس الطفرة حاصلة لدى العرب... قال لى أحد هؤلاء الساسة الاسرائيليين :

«لقد كنا جميعاً متأكدين أننا لن نعيش السلام أبداً فى حياتنا ولكن المعجزة حصلت فنزلت علينا كالصاعقة لدرجة أننا نتساءل أحياناً عما إذا كنا نعيش ما يحدث من الدنيا أو من العالم الآخر، ولاشك أن الجميع مشوش الفكر ولكن كل هذا سيمضى وسيطويه النسيان.

وقال آخر أكثر تحفظاً: «إن السلام هو المرادف للانفتاح وفتح الطرق المؤدية من القاهرة إلى دمشق عبر تل أبيب ولكن هذا ليس معناه أننا سنعيش فى نعيم..إن الناس سيستمرون فى التطاحن بشكل أو بآخر»..إن ما يتعين أن يفهمه اليهود هو أن لا رابين ولا بيريز جازفا بأمن بلادهم، حقيقى أن هناك عدة مقامرات سياسية جسيمة لكنها لا تشكل أدنى خطورة على أمن البلاد ووفقاً لهذا المنظور سيظل جيش إسرائيل دائماً وأبداً أقوى من جيرانه، لكن المسيرة ستنم خطوة خطوة، وبيتسم وهو ينهى كلامه قائلاً: انتظروا وسترون بأنفسكم أن المتاعب هى التى على الأبواب ولكن المهم أن الحرب انتهت ... فهل انتهت الحرب حقيقة؟



* هكذا رآيت اسرائيل *

قيل أن أتعرض للإجابة عن هذا السؤال من خلال رحلة غوص فى عقول مجموعة من المسؤولين الإسرائيليين والفلسطينيين الذين التقيت بهم فى إسرائيل والتي سأتناولها فى فصول قادمة من هذا الكتاب.. لا بد وأن أشير إلى مقتطفات مما سمعته من بعض الأوروبيين الذين تحدثت معهم فى إسرائيل.. لقد أجمعت آراؤهم على أن سلام الثالث عشر من سبتمبر ١٩٩٣م لن يكون قطعياً ونهائياً.

صحفى إيطالى يقول: « أنه ينبغي على منظمة التحرير أن تضع الأصوليين المتطرفين تحت السيطرة، الأمر الذى ينطوى على مخاطرة نشوب حرب أهلية.

يقول جوزيف الضر وهو مسئول سابق فى المؤسسات ويعمل الآن فى إحدى المؤسسات الفكرية فى جامعة «تل أبيب» إننى أخشى من أن الأمور ستتحول إلى حالة من الفوضى فهل سيكون البوليس الجديد على استعداد لقمع الفلسطينيين الذين يهاجمون الإسرائيليين؟.. ذلك هو - كما يقول الضر - الاختبار الرئيسى لبناء الديمقراطية.

سيكون على منظمة التحرير قمع الأحزاب الأصولية فى الوقت الذى تخطط فيه كما هو مفترض لإجراء انتخابات حرة وليس لدى زعامة منظمة التحرير فى المنفى أية خبرة بالانتخابات ولقد حاول الإسرائيليون - حتى فى فترة مؤخرة - سحق عملية تطور أية زعامة حقيقية مستقلة فى الأراضي المحتلة.



السلام الحائر في عيون الصقور والحمائم

* وايزمان :
« في السلام كما في
الحرب لابد أن تكون
مستعداً للمخاطرة ».

* «الصقور هم أمهر
القادة في الحرب
والسلام».

* بن اليسار :
«أرفض إضافة أية
دولة عربية جديدة
 للمنطقة».

وتتواصل « رحلة التحدى مع النفس » فى قلب
هذا المجتمع الملىء بالمتناقضات والانقسامات فيما
يتعلق بأولوياتهم السياسية والمادية والروحية.. ووسط
مثل هذا المجتمع يحترار الإنسان ويتوه وهو يحاول أن
يستكشف الحقائق ولكن كان لابد أن أصل إلى القدر
الأكبر من كل هذه الحقائق التى جئت أبحث عنها حتى
أصل إلى الإجابة عن الأسئلة الكبيرة التى فرضت
نفسها منذ أن قررت القيام بـ « رحلة التحدى مع
النفس ».. وكان منها : هل أصبحت فلسطين دولة على
طريق التكوين؟

* * *

وهل يعنى هذا الاتفاق أن الصراع العربى
الاسرائيلى ذهب بلا رجعة.. وأنه قد بدأت خطوة فى
طريق الألف ميل نحو السلام الشامل فى المنطقة؟



* هكذا رايت اسرائيل *

هذه هي الأسئلة التي تطرح نفسها منذ التوقيع على وثائق إعلان المبادئ بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل والإجابة على هذه الأسئلة وغيرها ليست سهلة لأن المعادلة صعبة ومعقدة. وتاريخ الصراع طويل والقضية شائكة احتلت فصولها الجانب الأكبر من سنوات القرن العشرين.. ولكن الواقع الذي لا يمكن إنكاره والذي اتفقت عليه جميع الآراء أن الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني يعد نقطة تحول هائلة وخطيرة في سباق الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ومن ثم العربي الإسرائيلي.. ولم يسبق أن تصاعدت التداعيات الناجمة عن أحد التطورات الخاصة بعملية السلام بين الدول العربية وإسرائيل مثلما تصاعدت التداعيات عن هذا الاتفاق وذلك منذ إعلان الرئيس الراحل أنور السادات عن اعتزامه زيارة القدس في نوفمبر ١٩٧٧م.. وأن الواقع المقابل أيضاً أنه لا يمكن لأى إنجاز حقيقى كبير أن يتحقق قفزاً فوق كل الموانع والمعوقات.. وصولاً إلى الهدف الاستراتيجى.. فعلى الصعيد التاريخى يمكننى القول بأن الاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى هو أول اتفاق من نوعه يتم التوصل إليه بشكل مباشر بين الأطراف الفاعلة على مستوى الوطن الفلسطينى وبولة إسرائيل.

فلم تكن إسرائيل تقبل بأقل من شطب منظمة التحرير الفلسطينية من الوجود.. ولم تكن المنظمة تقبل فى البداية بأقل من إزالة الكيان الإسرائيلى.. وفجأة بدا أن خيار الإلغاء هو مجرد إرث ثقيل من لغة قديمة موروثه عن عالم قديم انتهى... إنه الانقلاب الكبير الذى أدخل الصراع العربى الإسرائيلى فى مرحلة مغايرة تماماً فى تاريخه.. ولكن ما هى انعكاسات هذا الانقلاب

الكبير؟ هل سيؤدي إلى تغيير الصورة السياسية للشرق الأوسط في العيون.. وهل كل جدران الكراهية هدمها هذا الحدث الزلزال؟.. ثم هل هو بالفعل الخطوة الأولى في مشوار الألف ميل نحو السلام الشامل في المنطقة؟

* * *

كان على رأس قائمة الشخصيات الإسرائيلية التي حرصت على لقائها «عزرا وايزمن» رئيس الدولة وأحد الصقور التقليديين في إسرائيل والذين تحولوا إلى أشهر الحمائم الذين ساهموا في صنع السلام بين مصر وإسرائيل.. والذي لا يزال يساهم في دعم مسيرة السلام بين إسرائيل والأطراف العربية الأخرى.

كل الذين فاتحتهم برغبتي في لقاء «وايزمن» اعتذروا في اللحظة الأولى رجال المراسم في وزارة الخارجية الإسرائيلية وكذلك الصديق السفير محمد بسيوني - سفير مصر في تل أبيب وغيرهم.. الجميع أكدوا أنه يحذر على رئيس الدولة التحدث في الشؤون السياسية وأن الدستور قد حدد له مهاماً معظمها بروتوكولي.. بل إن بعض أصدقائي من الشخصيات الفلسطينية قالوا لي صراحة «لا تضيع وقتك في هذه المحاولة بلا جدوى، فالصحفيون نادراً ما يدخلون إلى مقر رئيس الدولة سواء كانوا أجانب أو إسرائيليين».. أعترف أنني من النوع الذي لا يستسلم ولا يمل من تكرار المحاولة في صبر عميق ودأب، وفي إسرائيل كان لابد وأن أتشبث بمثل هذه الخصائص.

أخذت أتساءل عن الشخصيات التي يمكن أن تؤثر على وايزمن فيقبل إجراء حديث صحفي معي، وأخيراً أخبروني أنه صديق لرجل الأعمال الشهير



* هكذا رايت اسرائيل *

«يعقوب نمرودي»، صاحب جريدة «معاريف» وصاحب امبراطورية كبيرة.. كبيرة جداً فى مجالات عديدة سيأتى الوقت للحديث عنها.. وتصادف أن يعقوب نمرودي يمتلك شركة السياحة التى نظمت لى الرحلة وعندما علم أنني صحفى مصرى يمثل جريدة كويتية طلب أن يرانى فى قصره الرائع (البيت الأبيض) فى إحدى الضواحي الراقية بتل أبيب فانتهزتها فرصة لأفاته فى رغبتى لقاء «عزرا وايزمن».. استقبلنى نمرودي بحفاوة بالغة وأطلق عدداً من النكات والنوادر والحكايات وشجعتنى بساطته وخفة دمه لأسأله عن عدد من القضايا الهامة التى كان بطلها.. فضيحة إيران جيت ودوره البارز فيها.. تهريب الفلاشا إلى إسرائيل، وقد لعب فيها دوراً رئيسياً.. وكذلك دوره فى استقطاب مئات بل آلاف من يهود الاتحاد السوفيتى ونقلهم على طائراته.. ودوره الخطير أيام كان ملحقاً عسكرياً لإسرائيل فى إيران.. ثم دوره الحالى الذى يلعبه فى مرحلة السلام.. واكتشفت خلال الساعات السبع التى قضيتها مع يعقوب نمرودي فى حديقة قصره الغناء أن هذا الرجل مخزن أسرار.. حكى لى الكثير عن علاقاته مع شخصيات عربية مرموقة وزياراته السرية والعينية لأقطار عربية عديدة و«البنزس» الذى كانت شخصيات عربية مرموقة – مرموقة جداً – طرفاً فيه ولا تزال .. شرح لى بالتفصيل بالوثائق والصور بل وشرائط الفيديو قصة الحجاج الليبيين الذين زاروا القدس وصلّوا بالمسجد الأقصى وكيف كان مقررراً أن تستمر هذه الرحلات ولماذا توقفت، وهذه حكاية أخرى.. ظلت أستمع بدهشة كبيرة ليعقوب نمرودي الذى أخذ يرجونى عدم كتابة هذه الأسرار.. تلك الأسرار التى تحتاج لإعداد كتاب خاص عنها وسيحدث هذا

إن طال بى العمر.. إنتهزت فرصة الحالة النفسية التى كان عليها نمرودى وهو يروى حكاياته وأسراره الشيقة وانطلاقته الكبيرة واستحسانه للأسئلة التى كنت أطرحها عليه فقلت له:

«يعقوب.. هل يمكنك تقديم خدمة لى؟» بالمناسبة فى إسرائيل لا يستخدمون الألقاب بمختلف أنواعها وأشكالها.. المهم قال يعقوب: «بكل سرور إذا كانت باستطاعتى»... قلت: «أريد أن أجرى لقاءً صحفياً مع عزرا وايزمن.. قال وهو ينظر فى عيني بتركيز شديد.. ولكن وايزمن ممنوع أن يجرى أحاديثاً صحفية.. قلت هو ليس حديثاً عادياً.. إنه حديث عن السادات.. أمسك بسماعة التليفون.. وراح يصيح ضاحكاً.. وايزمن.. ثم بدأ يتحدث بالعبرية..

واستطعت أن ألتقط بعض الكلمات، فاللغة العبرية تشترك مع العربية فى كثير من الكلمات المتشابهة: محمد.. صحفى.. عربى.. مصرى.. كويتى.. السادات.. ثم همس لى قائلاً: «هل تستطيع أن تذهب إلى عزرا الآن بالقدس؟» قلت طبعاً.. أنهى المكالمة وقال لى: «استعد.. سأذهب معك لنقابل وايزمن فوراً.. على فكرة إنت حظك كويس.. هو وافق على اللقاء من أجل السادات ومن أجلى.. هيا بنا».

انطلقت بنا سيارة يعقوب نمرودى من تل أبيب إلى القدس بسرعة فائقة.. لم ينقطع يعقوب طوال الطريق عن الحديث فى التليفون، فالصفقات على ما يبدو لا تغادر هذا الرجل أو يغادرها.. بعد أقل من ساعة قضيتها فى شروء كامل وكأنتنى أشاهد فيلماً سينمائياً من أفلام الخيال العلمى الذى تذهب بك لعوالم أخرى.. فجأة توقف يعقوب عن محادثاته التليفونية لنجد

أنفسنا أمام بوابة حديدية على ربوة ويبدو مبنى مكسو بالحجر وكلمات عبرية نطق بها نمرودى فتحت الأبواب سريعاً وبعد عدة ممرات قصيرة فتح باب لتلتقى بنا سكرتيرة «عزرا وايزمن» التى رحبت بنا وأبلغتنا أن الرئيس بانتظارنا، وكانت هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها لقباً رسمياً..

– قالت لى السكرتيرة فى ود، «حضرتك كويتى؟»

– قلت «لا.. مصرى أعمل فى جريدة كويتية»..

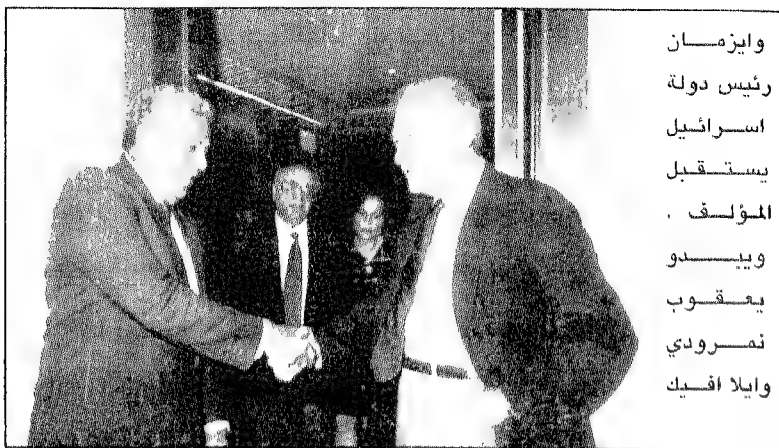
– سألتها قائلاً: «على فكرة.. شكلك عربى»

– قالت: «نعم.. أنا لبنانية».. ثم وصلت السيدة «إيلا افيك» من القسم

العربى بوزارة الخارجية والتى صحبتنى فى عدة لقاءات سابقة مع عدد من المسئولين.. همست فى أذنى وهى تحاول التحدث بالعامية المصرية «برافو عليك.. إزاي حصلت على الموعد ده» ثم أردفت: «أرجوك لا تحرج الرجل فى أسئلة سياسية»، قلت باقتضاب: «رينا يسهل».. ثم فتح الباب لأجد رئيس دولة إسرائيل وقد وقف عند الباب يستقبلنا.. إحتضن يعقوب نمرودى وصافحنى بود وكذلك «إيلا افيك» بينما وقفت سكرتيرته تسأله عن الوقت فقلت: «ياريت ساعتين».. ضحك وايزمن وقال لسكرتيرته: «نصف ساعة».. ولم أعلق.

بدأ «عزرا وايزمن» حديثه بتذكيرى بأنه لا يتحدث فى السياسة فقلت

له: «من غير المعقول أن أكون هنا ولا أسألك عن الحرب والسلام.. عن الصقور والحمام.. عن صديقك الراحل أنور السادات.. لقد كنت موجوداً مع السيدة جيهان السادات منذ عدة أسابيع عندما تحدثت إليها تليفونياً تعزيها فى نكرى استشهاد زوجها الراحل.. يومها قالت لك إن لدى صحفى يحدثنى عن



وايزمان
رئيس دولة
اسرائيل
يستقبل
المؤلف .
وييسدو
يعقوب
نمرودي
وايلا افيك

الرئيس السادات رحمه الله وسوف يزور إسرائيل قريباً ويريد أن يلتقى بك فوافقت... ابتهسم رئيس دولة اسرائيل وقال: «رحم الله السادات فقد كان رجلاً عظيماً.. حقق لوطنه ولأمته وللإنسانية جمعاء الكثير.. تفضل هات ما عندك».

قلت وأنا أحاول أن أخلى الساحة لحديث مهم مع رجل مهم: «سيادة الرئيس... إن الجنرالات الذين أراهم أمامي يحبسون الأسئلة فى حلقى (كان يجلس بالمكتب ثلاثة عسكريين)»... ترجم لهم نمرودي ما أقول فضحك الجميع بصوت عال وقام الثلاثة منصرفين على الفور. وفرغت الساحة ودار شريط كاسيت وبدأ واحد من الأحاديث التى تناقلتها معظم إذاعات العالم ووكالات الأنباء والكثير جداً من الصحف.. وأذكر أنه عندما كانت تدخل سكرتيرة وايزمن الحسنة لتذكرنا بأن الوقت المخصص قد تجاوزناه بكثير كان الرجل يشير إليها بيده بآئه مستمر فى الحديث بينما أقول له «لم يتبق سوى سؤالين فقط» ليهتهسم وايزمن قائلاً: «منذ أكثر من ساعتين وأنت تقول باقى سؤالين..

لا عليك فأننا لدى خبرة فى التعامل مع صحافيين طموحين مثا
أسئلتك عن صديقى الراحل أنور السادات وذكرياتى معه ولن أ.
أن أجيب على كل أسئلتك... وخلال السطور التالية سوف أد
من الحوار الطويل الذى أجرите مع رئيس دولة إسرائيل والذى
التي تولاهما «عزرا وايزمن» فى بلاده حيث يقول:

أنا واحد من الذين شاركوا فى كل المعارك العسكرية
إسرائيل.. خلال سلسلة الصراع الدموى بين إسرائيل والعرب
عام ١٩٤٨م - لقد شغلت العديد من المواقع فقد كنت عام ١٩٤٨
أقود طائرة مقاتلة.. وفى عام ١٩٥٦ كنت أتولى قيادة قاعدة جوى
على سيناء.. وفى الفترة من عام ١٩٥٦ وحتى عام ١٩٦٧ شغلت
سلاح الجو الإسرائيلى.. وعندما وقعت حرب الأيام الستة كنت
الدفاع الإسرائيلى بمقر القيادة العامة للجيش.. وفى عام ١٩٧٣
أكتوبر التي حققت خلالها مصر انتصاراً عسكرياً كبيراً
مستشاراً لرئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلى.. وصمت وا
قصيرة ثم بدت ابتسامته واسعة وهو يقول: هل لاحظت مثلى أن
لقب «الرئيس» فى أكبر دول الصراع العربى الإسرائيلى...
وسوريا وإسرائيل.. هم من الطيارين.. الرئيس مبارك والرئيس
كلنا من نسور الجو.. لعلك تلاحظ أيضاً أن نسور الجو هم أكثر
فى السلام وأكثرهم حرصاً عليه.. إنهم يتحملون الكثير من أ
يبدلون جهداً كبيراً من أجل السلام.

قلت له معنى هذا أنك شخصياً ضد الحرب وتكرهها .. رغم مواقعك العديدة فى الجيش .. ورغم أنك خضت جميع الحروب التى كانت بين العرب وإسرائيل؟

فأكد أنه وكل الإسرائيليين يكرهون الحرب وقال: لقد عانيت شخصياً من ويلات الحروب ذلك أن ابنى «شاؤول» الذى كان يخدم فى جيش الدفاع الإسرائيلى على الجبهة المصرية قد أصيب وظل يعاني من هذا حتى مات بعد خمس سنوات، كما أن ابنتى أيضاً قد خدمت فى جيش الدفاع .. فى السلاح الجوى .. وكانت زوجة لطيار مقاتل .. بل أننى أستطيع أن أقول لك إن كل شخص فى إسرائيل عانى من نتائج الحروب بيننا وبين العرب .. من النار أن تجد بيتاً فى إسرائيل لم يعان أصحابه من أوجاع وآلام فقد عزيز أو حجز صديق أو قريب ..

بمناسبة الحديث عن الحرب كان لابد وأن تفرض حرب أكتوبر ١٩٧٣م نفسها علي الحديث خاصة وان عايزرا وايزمان كان وقتها قائداً لسلاح الجو الاسرائيلي .. وأسأله عن رأيه في مقولة أنه لو لم تكن حرب أكتوبر لما كان السلام .. فقال :

« من وجهة نظري انه كان بالامكان تحقيق السلام بدون حرب .. لكن الرئيس السادات كان يري ضرورة قيام هذه الحرب حتي يستعيد الكرامة للجيش المصري .. وكان بالطبع يريد استعادة هذه الكرامة بقوته الذاتية .. بجنوده وضباطه وبدون أية مساعدة من الروس .. والحقيقة ان حرب اكتوبر كانت بكل المقاييس مفاجأة نجح الرئيس السادات في الاحتفاظ بسرّها حتي

آخر لحظة .. كانت مفاجأة من جميع النواحي .. والحقيقة أيضاً أن حرب أكتوبر قد أعادت بالفعل للجيش المصري كرامته .. وفي نفس الوقت أستطيع أن أقول أنها ساهمت بلا شك في تحريك القضية .. ومن ثم التوصل الي حل سلمي للنزاع العربي الاسرائيلي الذي طالت سنواته كثيراً ..»

ويضيف وايزمان قائلاً : « إنني أتذكر المرة الأولى التي التقيت فيها بالرئيس السادات .. فعندما مددت يدي أضافه قلت له .. قبل أن نبدأ حديثنا .. لابد أن أقول لك انني كمحترف أهنتك علي حرب أكتوبر .. أهنتك علي المفاجأة التي استطعت أن تحققها ببراعة .. أهنتك أيضاً علي أسلوبك في الحرب .. والحقيقة أنني قلت هذا للسادات رغم أنه لم يكن هناك ما يدعوني للتعبير عن إعجابي بالحرب .. لقد كانت حرب أكتوبر هي المناسبة التي استطاعت ان تثبت مواهب الرئيس السادات العديدة .. فقد أثبتت هذه الحرب حكمته واستراتيجيته .. وقدرته كرجل دولة ..

كما كان نجاح السادات علي الصعيد السياسي نجاحاً منقطع النظير .. ذلك انه قام بتحذير العالم من الأخطار الكبيرة التي يمكن ان تسببها الحرب .. وخاصة انه أشار الي حالة عدم الاستقرار القائمة والموجودة في الشرق الأوسط .. وإذا كان السادات قد سبب لي شخصياً الاضطراب والقلق اثناء الحرب بعد ان نجح في مفاجئتنا جميعاً بالعبور .. فإنني اعترف ايضاً انه سبب لي الاضطراب والقلق حتي بعد انتهاء الحرب .. عندما استطاع الامساك بالمبادرة - مبادرة السلام - كورقة مهمة بين أصابعه ..

لقد قام السادات بحصارنا بعد أن نجح في إقناع الأميركيان بأنه لا

رائيل اذا استمر تأييد واشنطن لها .. والغريب انه كان معنا .. ففي احدي خطبه أعلن علي العالم كله انه سيعبر إلى لو وصلت الخسائر والتضحيات الي مليون جندي .. فقد أعلن علي الملا عن اعتزامه تفتيت الصلة بين اسرائيل لقد قال بالحرف الواحد انه سيزرع «أسفين» بين لتحدة .. وطبعاً لم نصدقه .. أو علي الأقل لم نأخذ كلامه ح في تحقيق ما قاله .. نجح في عبور قناة السويس .. ونجح ا وبين الولايات المتحدة .. وهو ما ساهم بشكل فعال في سي من سيء الي أسوأ .. أضف الي هذا كله نجاحه في ن من مصر .. فقد ساهم هذا القرار بالتحديد في اقتراب وم والولايات المتحدة علي وجه الخصوص من مصر .. وفي هذا القرار في تخفيف اندفاع الغرب تجاه اسرائيل .. ت يبدو وكأنه لاعب ورق محترف اعتاد أن يستبقي الورقة

ن الاعجاب فتح عايزا وايزمان ملف الرئيس الراحل أنور كلامه قائلاً :

ر أن معظم المعلومات التي أمدتنا بها المخابرات بس السادات كانت معلومات خاطئة .. ذلك أنني وبعد ان انه كان رجلاً ذكياً بكل المقاييس .. وكان وطنياً الي أبعد يسعى من أجل صالحها .. كان السادات في الواقع رجلاً



* هكذا رأيت اسرائيل *

واقعيّاً بعيد النظر.. ويكفي أنه لم يستبعد إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل.. وكان جريئاً في اتخاذ قرارته.. وهل يمكن ان يصدق أحد ان رجلاً يوشك علي القيام بحرب وقبل الحرب يطلب من الخبراء الروس أن يغادروا مصر خلال أسبوعين فقط.. إن هذا القرار بالتحديد كان محل افتخار الرئيس السادات وبدأ كما لو كان محفوراً في ذاكرته.. وكان يعتبره من أشرف وأهم وأشجع المواقف التي اتخذها في حياته.. وكان علي حق في كل هذه المشاعر.. فقد أتاح له هذا القرار مفاجأة جيش إسرائيل في حرب أكتوبر.. لقد ظننت وظننا جميعاً ان رحيل الروس قد أضعف القدرة العسكرية المصرية الي حد العجز تماماً عن عبور قناة السويس .. لقد كنا غير مصدقين انه ينوي الحرب وعبور القناة والروس موجودين في مصر .. فهل يمكن ان نصدق انه جاد في الحرب بعد خروج الروس من مصر ١٩٧٣..

– هل كان السادات من وجهة نظرك رجل سلام أم رجل حرب ؟

– قال وايزمان : السادات كان جاداً في رغبته إقامة سلام حقيقي .. نحن الذين لم نصدق له في البداية .. العالم ايضاً لم يصدق له .. وقد ظل يبحث عن طريق الحرب لحل المشكلة.. لكنه لم يجد هذا الطريق.. وفي نفس الوقت كان يريد بأية طريقة ان يكسر الجمود القائم .. ولم يجد سبيلاً لذلك سوى الحرب.. وقد أثبتت الايام والحوادث ان انور السادات كان رجلاً سياسياً ممتازاً.. رجلاً سياسياً من الدرجة الاولى .. يتمتع بالقوة السياسية والقدرة علي المناورة والاستمرار بثبات نحو تحقيق أهدافه.. ويكفي انه واصل طريقه رغم رفض السياسيين الذين حوله لمواقفه.. والذين استقالوا من مناصبهم ..

أمثال اسماعيل فهمي ، ومحمد ابراهيم كامل وغيرهما ..

لقد كانت وجهة نظر الرئيس السادات أن الحرب والسلام في يد مصر .. وكان متأكداً أن العرب في النهاية سيتجهون للسلام .. وهو ما أثبتته الأيام .. والحقيقة أنني أتمني فعلاً أن يحذوا كل الرؤساء العرب حذو السادات .. فهكذا يتحقق السلام .. ليتنا نري الرئيس الاسد قريباً في اسرائيل سعياً من أجل السلام .. ان الرجل لم يأت الي اسرائيل طلباً لسلام منفرد ولكنه جاء لكسر حاجز منذ سنوات طويلة ظل ينمو علي مدي هذه السنوات .. وقد نجح السادات تماماً في كسر هذا الحاجز وإسقاطه .. تماماً كما سقط بعد ذلك حائط برلين .. وبهذا نجح السادات في تهيئة المناخ لبداية مرحلة جديدة بين العرب واسرائيل .. لقد كانت المشكلة الحقيقية عند اليهود بصفة عامة والاسرائيليين بصفة خاصة .. هي عدم الاحساس بالأمن والأمان .. ولا يجب ان ننسي أبداً انه لم تكن هناك أى جسور للتفاهم مع العرب .. لم يكن هناك أحد نستطيع ان نتفاهم معه ونبني معه جسراً من الثقة .. كانت مشكلة الشعب الاسرائيلي انه فعلاً يعيش في خطر .. وانه محاصر من جميع الجوانب الأردن من ناحية .. وسوريا من ناحية ولبنان من ناحية أخرى .. ومصر من ناحية .. وكان أهم ما نجح فيه السادات هو إزالة هذا الشعور ..

من فوق جسور الثقة التي شيدها الرئيس الراحل أنور السادات والتي فتحت طريق السلام أعود مع عايزرا وايزمان الي الحديث عن حجر الأساس في هذه الجسور .. وعندما طلبت منه إعادة شريط ذكرياته عن يوم إعلان الرئيس السادات عن زيارته للقدس قال :



* هكذا رايت اسرائيل *

يالها من أيام .. أنت بسؤالك هذا تعيدني الي الورداء كثيراً .. الي التاسع من نوفمبر عام ١٩٧٧م .. عندما كنت استمع الي خطاب السادات الذي تحدث فيه عن الطريق المسدود الذي وصل اليه مؤتمر جنيف .. في هذا الخطاب وقبل نهايته بقليل أعلن السادات أنه علي استعداد للذهاب الي القدس ومواجهة أعضاء الكنيست في اسرائيل ،، بالطبع لم أصدق كلمة واحدة من هذا الكلام وتصورت انها مجرد زلة لسان .. لكن المفاجأة الحقيقية بالنسبة لي كانت رد رئيس الوزراء بيجين الذي أعلن هو الآخر انه يقبل هذا التحدي ..

وحتي هذا الكلام لم أخذه علي محمل الجد .. تصورته مناورة من بيجين يعيد فيها الكرة للعب المصريين .. وكان هذا بالطبع مبعث اعجابي ببيجين رغم أنني أعرف انه من الصقور اليمينيين المتشددين .. وجاءت تقارير المخابرات الاسرائيلية تؤكد ان السادات جاد في كلامه! ..

وتوالت الأحداث بسرعة ودب النشاط في أروقة الحكومة وبين مسؤوليها وكوادرها وانشغل الجميع بالاعداد والاستعداد للزيارة التاريخية المرتقبة .. وكان من المقرر طبعاً أن أكون بين المسؤولين الذين سيستقبلون السادات عند وصوله للقدس .. لكن حادثاً شخصياً حال دون ذلك .. انني لا أزال أذكر رجال الحزب الحاكم وكبار الشخصيات وهم واقفون في انتظار ان يفتح باب طائرة السادات ويهبط منها .. كانت لحظة تاريخية رائعة .. ولم أصدق عيني وأنا أرى الجماهير في اسرائيل وقد خرجت عن بكرة أبيها وبمختلف توجهاتها السياسية ترحب بالرئيس السادات .. كانت عيناى تتابع التلفزيون وهي تتعلق بمشاهدة تشبه الأحلام .. وعندما انفتحت أبواب



الطائرة.. انحبست أنفاسي وأنا أشاهد السادات يظهر وقد رسم علي شفثتي
ابتسامة عريضة.. يحاول بها أن يجتاز الهوة السحيقة .. ولا أزال أتذكر
ال جماهير يقودها الحماس الشديد وهي تستقبل السادات الذي جاء اليهم
لإيقاف حمامات الدم التي أريقت علي أراضينا .. سوياً ..

ويضيف وايزمان قائلاً : « وبعد أن عاد السادات الي مصر كنت
حريصا علي متابعة ربود الفعل من جماهير الشعب المصري.. والحقيقة أنني
سعدت باستقبال الشعب له بعد عودته.. وساعتها تذكرت ما قلته للسادات من
أن السلام تصنعه الشعوب وليس الزعماء.. وساعتها أيضاً تكذبت من أن
السلام يمكن أن يتحقق » .

خلال كلام رئيس دولة اسرائيل الطويل عن السلام كنت أسأل نفسي:
ترى هل يمكن أن يتحول الصقر إلى حمامة تحمل غصن الزيتون .. ولم أشأ
أن أخفي هذا التساؤل فصارحته به فقال ضاحكاً إن كثيرين غيرك سبق وأن
سألوني هذا السؤال وقلت لهم أنكم لا تعرفون ولا تفهمون كيف يكون الصقر
الحقيقي .. إن الحمامة تهدل وترفرف بأجنحتها في تردد وريبة .. ولكن الصقر
ينقض ويستحوذ على المبادرة ويستفيد من تغيير موقفه لصالح قضيته ..

ومن وجهة نظري فإن الصقور والحمام تشبه الطائرات.. فالحمامة مثل
الطائرة البطيئة.. أما الصقر فهو مثل الطائرة السريعة .. والأولى ليس لديها
اختيار فهي تسير بسرعة بطيئة لأنها تفتقر إلى القوة اللازمة لكي تكون
مسرعة.. أما الصقر فليده اختيار.. فالصقر بإمكانه أن يطير بأقصى
سرعته.. بإمكانه أيضاً أن يبطلء من سرعته .. وبسبب هذه المرونة الهائلة فهو

يتصرف بشكل أفضل فى أى موقف مفاجئ .. إن تحقيق السلام يتطلب حماساً
وعملاً لا يقلان عن المهمات الدموية فى الحرب وفى السلام كما فى الحرب ..
لا بد أن تكون مستعداً للمخاطرة .. من هنا فالصقور هم الذين يصلحون لأن
يكونوا أمهر القادة فى الحرب .. وفى السلام ..

* * *

ومن حديث أحد الحماثم عن السلام انتقل إلى لقائى داخل الكنيست
الإسرائيلي مع أحد الصقور الذين ينتمون إلى كتلة الليكود، وهو عوفاريا عيلى
الذى شغل منصب نائب وزير الدفاع فى حكومة إسحق شامير كما كان عضو
المجلس الوزارى المصغر الذى يهتم بالشئون السياسية والخارجية .. وعندما
واجهت عوفاريا عيلى بأسباب وقوف الليكود ضد الإتفاق الفلسطينى
الإسرائيلي وعدم تصويته لصالحه وإن كان هذا الموقف يعنى رفض السلام
فى حد ذاته قال:

«علينا أن نتذكر دائماً أن حزب الليكود كان أول من وقع اتفاقية سلام
مع مصر والليكود كان من المبادرين إلى الدخول فى مفاوضات مباشرة مع
الدول العربية وقد بدأنا المفاوضات المباشرة فى مدريد بدون شروط مسبقة وقد
تم ذلك عندما كان إسحق شامير رئيساً للحكومة وأكد عوفاريا أن الليكود لا
يرفض الاتفاق ولكن ليس هذا الاتفاق فى ظل هذه الظروف والشروط التى ينص
عليها .. وقال أننا نخشى أن تكون ضمن اتفاق المبادئ هذا مع الفلسطينيين
أمر خفية أكثر من المكشوفة والمعروفة .. فلا أحد يعرف إلي أين سيصل هذا
الاتفاق بدولة اسرائيل ..

* هكذا رأت اسرائيل *



إننا نعتقد انه يجب أن تتم مسيرة سلمية وفقا لما تم في كامب ديفيد من اتفاق بين الرئيس الراحل أنور السادات ومناحم بيجين رئيس الحكومة الاسرائيلية الراحل ، وهذا هو الأطار العام الذي يريد حزب الليكود ان يبنى عليه السلام .. وكما اعلن مركز الليكود عندما عرض برنامجاً بديلاً رغم أننا اعلنا أننا ملتزمون بالاتفاق لأنه اتفاق رسمي حتي وإن كنا غير راضيين عنه ولكننا ملتزمون به باعتبارنا دولة ديمقراطية حيث أن الاتفاق وقعت عليه حكومة شرعية ..»

* * *

يعتبر يوسى ساريد - وزير البيئة واحداً من الحماة في اسرائيل .. فمئذ انضمامه الى حكومة حزب العمل عندما انضمت كتلة اسرائيل الديمقراطية «ميرتس» الي «المعراج» في التالف الذي يحكم اسرائيل الآن ، ومنذ توليه موقعه في الوزارة الاسرائيلية الجديدة كوزير للبيئة ، وهو يطرح آراء شديدة الاعتدال خاصة فيما يتعلق بجهود السلام التي تبذل في المنطقة ، وقد أكد لى أن السلام مع سوريا والأردن سيتحقق خلال عام ١٩٩٤م بما يعني التوصل الى سلام شامل بشرط ضرورة تغيير المواقف وتوافر النيات الطيبة لتحقيق السلام .

وقال ان اسحاق رابين يدمج في سياسته نية طيبة نحو السلام مع ضرورة وجود اجراءات حتمية بالنسبة للأمن والحفاظ علي السلام، وتطورات الظروف هي التي تفرض تغيير المواقف وقد قام الجميع بتغيير مواقفهم وآرائهم علي نحو أو آخر فعرفات لم يعد مثملاً كان عليه عرفات من قبل..



* هكذا رأيت اسرائيل *

واسحاق رابين لم يعد كما كان من قبل ، وكذلك موسي ساريد لم يكن مثمما كان عليه من قبل بالنسبة للرأى العام الاسرائيلى فإنه كان على استعداد منذ حين لهذا التغيير وللحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية ، لذا فإن الرأى العام سبق فى هذه الناحية الكثير من الشخصيات الاسرائيلية.. كما توصل الرأى العام ايضا الى أنه يتعين الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وإلا فإن النزاع سيستمر الى ما لا نهاية وسوف يتفاقم أكثر وتزداد خطورته .

ومن أجل استمرار مسيرة السلام من خلال الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى حذر يوسى ساريد قائلا :«هناك مخاطر كثيرة وبالذات فى هذه الفترة الانتقالية لأنها فترة اختبار .. وفترة الاختبار هذه ستستمر نحو خمسة أعوام ، وفى العام الثالث ستبدأ المفاوضات بالنسبة للتسوية الدائمة وإذا ما اتضح أن الفترة الانتقالية أثبتت تغيير الوضع لدى الفلسطينيين الى النقيض فإن مطالب الأمن الاسرائيلى سوف تكون أقل .. لكن إذا ما أثبتت الفترة الانتقالية أن الوضع لم يتغير بالفعل واستمرت الأعمال المعادية والمناهضة لاسرائيل فإن مطالب الأمن الاسرائيلية سوف تكون أكبر بكثير ، لذا فإن كل شئ يتعلق بواقع المرحلة الانتقالية .. وهذا هو بالفعل الواجب الملقى على عاتق زعامة منظمة التحرير .. فعليها أن تقوم بطمأنة الرأى العام فى اسرائيل بأن الخطوة التى اتجهنا اليها هى خطوة سليمة وإيجابية ومشجعة على طريق تحقيق السلام..

أما حول مدى قناعته بأن الإتفاق المبادئ الفلسطينى الاسرائيلى يؤكد أن سياسة الحرب والتوسع لا تحقق الأمن والسلام قال :« إن ما يهم الرأى العام الاسرائيلى هو الأمن وإذا كان من الممكن أن يتحقق ذلك عن طريق

السلام فإن غالبية الشعب الاسرائيلي ليست مهتمة بعملية التوسع فى أية منطقة من المناطق»..

وعن مدى إيمانه بمبدأ الأرض مقابل السلام هل يمكن أن يحقق السلام الشامل العادل بين العرب واسرائيل قال : « اننا نعطى الأرض وكل ما نريده هو السلام ، وقال إن اسرائيل الكبرى من البحر الى النهر ، وأرض الميعاد .. كل هذه كانت مجرد دعاوى تحدث عنها البعض وشعارات رفعها البعض الآخر، إن الحلم الصهيونى هو - إجمالاً - حلم صغير جداً ومتواضع، وما نريده هو دولة خاصة بنا تقع فى الشرق الأوسط من خلال السلام مع جيراننا والحفاظ على أمن هذه الدولة..

إن الذين يتحدثون عن اسرائيل الكبرى من الشعب الاسرائيلي أصبحوا أقلية الآن ولا يشكلون ضغطاً إيجابياً .. إن كل ما يريده غالبية الشعب الاسرائيلي الآن هو أن يعيشوا فى سلام داخل دولتهم ، والواقع أن بن جوريون لم يكن يعمل لتحقيق حلم صهيونى معين وكان هو أول من وافق على مشروع التقسيم ، ولو كان قد تم تنفيذ ذلك المشروع عام ١٩٤٨م لكانت اسرائيل ضمن حدود التقسيم ولعشنا سعداء بلا قلق .. علينا الآن أن نعيد الحديث عن التاريخ ولنولى اهتمامنا نحو المستقبل « ..

* * *

من عش الحمام انتقل مرة أخرى الى وكر الصقور لأواجه أكثر الصقور الاسرائيلية تشدداً وشراسة (الياهوين اليسار) عضو الكنيست عن حزب الليكود.



* هكذا رايت اسرائيل *

ولأنه كان أول سفير لإسرائيل في مصر فقد كان مدخل حديث السلام معه من خلال السلام مع مصر .. وأقول له أليس غريباً أن «الليكود» الذي صنع السلام مع مصر .. هو نفسه الذي يعارض الآن الاتفاق مع الفلسطينيين.. فقال : «إن الليكود لم يعارض الاتفاق مع الفلسطينيين .. الليكود يعارض الاتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو يؤمن بأن المكان الذي توجد فيه المنظمة هو مكان لا يمكن أن يتحقق فيه السلام ١٩.

فأينما توجد المنظمة لا يمكن أن يتحقق السلام ، وأننى اندهش من الذين يقولون أن هناك فارقاً بين منظمة التحرير وحماس .. فنحن نرى أنه ليس هناك فارق في الأهداف على الأقل فالحقيقة أن عرفات أدرك أنه ليس بوسعه التغلب على إسرائيل بالقوة ولذلك فإنه يسلك طريق السلام الآن .. ليس لأنه يؤمن بالسلام ، وإنما لأن السلام بالنسبة له برنامج مرحلى .. «ويواصل بن اليسار حديثه قائلاً: « وأنا أقولها صراحة أننى أرفض تماماً إضافة أية دولة عربية جديدة في المنطقة، وأعنى بذلك تحديداً دولة فلسطينية.. أنا أكره عرفات كرهاً عميقاً ، وأكره المنظمة أيضاً .. لأننى أؤمن أن عرفات عندما يقول أنه يريد دولة فإنه يعنى ذلك، وعندما يقتل ابنائى فإنه يعنى ذلك، ولكل هذا أقول أن من يصدق أنه بالإمكان توقيع اتفاق سلام مع عرفات والمنظمة فهو شخص أعمى!!»

وعندما قاطعته معترضاً على هذا الحجم من الكراهية الذى يكنه للعرب ولياسر عرفات قال : « أنه خطأ فادح أن تقول أنتى أكره العرب ، أنا لأكره العرب .. بل أشعر أنتى قريب منهم .. عندما كنت فى مصر كانت لى مشاعرى

الودودة تجاه المصريين ، وإذا كنت تقصد العرب الآخرين فأنا على استعداد لاصحبك غداً إن شئت إلى كل قرية عربية .. بما فى ذلك بيت لحم ورام الله ، وسوف تشاهد بنفسك كيف يستقبلنى العرب ، فليس هناك أية مشكلة بينى وبين العرب ، ولقد زارنى فى منزلى العديد من الفلسطينيين.. وربما أكثر من أى شخص آخر ،حتى فى حزب العمل .. فأنا لا أشعر بأى استعلاء نحو العرب .. بل أشعر تجاههم بمشاعر الانسانية والزمالة والصداقة .. أما عرفات والمنظمة فهذا موضوع آخر قلت رأى فيه بكل صراحة ..»

ولأن مدخل حديثى مع هذا الصقر الاسرائيلى الشرس كان عملية السلام مع مصر خاصة وأنه كان له دوره البارز فى اتفاقية كامب ديفيد .. فعدت معه من حيث بدأت لأقول له : إن الجميع يقرّون ويعترفون بأن اتفاقية السلام مع مصر قد نجحت فى إنهاء التهديد والتوتر فى المنطقة ، وفتحت الباب نحو السلام الشامل إلا أنت الذى لا تقر بهذه الحقيقة .. فقال : « أننى لا أنكر أن الاتفاقية ساهمت فى تحقيق ذلك بقدر كبير ، ومع ذلك لا تزال المنطقة - منطقة الشرق الأوسط - غير مستقرة .. فالحرب بين مصر واسرائيل انتهت.. لكن الحرب مع الدول العربية الأخرى لم تنته .. هناك أيضاً عناصر تساهم فى استمرار التهديد والتوتر بالمنطقة ، ولاتزال قائمة رغم عدم وجود صلة بينها وبين النزاع العربى الاسرائيلى .. على سبيل المثال.. العراق - سوريا والمتطرفون الاسلاميون وايران أيضاً .. كل هذه الأمور تسبب التهديد والتوتر رغم انه ليس هناك علاقة بينها وبين النزاع العربى الاسرائيلى ..»

* * *

* هكذا رآيت اسرائيل *

وتتواصل جولاتى بين الصقور والحمائم فى اسرائيل بحثاً عن السلام فى عيونهم ... وقبل أن أصل إلى محطة زعيمة الحمام فى الكنيسة الاسرائيلى ياعيل ديان .. التى تراهن على السلام مع الفلسطينيين وإقامة دولة فلسطينية لهم ... أجدنى أقف أمام كلمات مائير شتريت - عضو الليكود الذى رفض معارضة اتفاقية السلام رغم افكاره المتطرفة حين قال لى : «أننى أؤمن أن الطريق الوحيد لليكود للحفاظ على المصالح الحقيقية لدولة اسرائيل والعودة إلى سدة الحكم لا يمكن تحقيقه والوصول اليه إذا قلنا أننا ضد السلام لأن الشارع الاسرائيلى الذى يضم مؤيدى الليكود معظمه يريد السلام» وأضاف قائلاً : « والواقع أنه منذ توقيع معاهدة السلام مع مصر وقد مضى عليها ١٤ سنة فلم يحدث سلام مع اسرائيل .. لم يحدث السلام الساخن الذى أريده بالرغم من تفهمى لمشاكل مصر مع العالم العربى ، وقد وقعت أحداث كثيرة فى تلك الفترة منها الحرب مع لبنان والحرب فى الخليج وقبل هذا وذاك اغتيال للأسف الشديد الرئيس السادات ، وكان هناك جدل عريض فى بعض المواضيع مثل طابا ، وبدأ السلام مع مصر رويداً رويداً يتحول الى سلام بين الشعوب خاصة أن الرئيس السادات ومبارك تفهما جيداً أن مصالحتهما الأولى لمصر- ولاسرائيل أيضاً النهوض بالاوضاع الاقتصادية خاصة بعد استعادة مصر لأبار النفط التى كانت استولت اسرائيل عليها بالاضافة إلى إعادة الملاحة الى قناة السويس، وهذا ما يتيح لحكام مصر توظيف الموارد الرئيسية فى تحسين المجالات الاقتصادية، وكنت أريد أن يحدث نفس الشئ مع الدول العربية الأخرى..ولأن موارد هذه المنطقة هائلة، موارد



بشرية وطبيعية هائلة ومساحات شاسعة.. فإذا ما استبعدنا مسألة الحرب فسيكون بإمكان الشرق الأوسط خوض المنافسة مع أوروبا وأمريكا معاً .. ولا ينكر مائير شتريت إيمانه بمبدأ الأرض مقابل السلام ، ويقول:

« لقد أعاد الليكود سيناء مقابل السلام ، وعلى الجميع أن يفهم أن هناك تناقضاً في إسرائيل .. هذا التناقض بين صقور السلام وحمائم الحرب.. وأنا أدعى أن في إسرائيل اليسار الوحيد الذي يمكن أن يخوض الحرب بإجماع وطني ، واليمين فقط الذي يمكن أن يصنع السلام بإجماع وطني ، وقد ثبت ذلك عدة مرات في تاريخ إسرائيل .. فلو لم يكن مناحم بيجين رئيساً لحكومة إسرائيل في معاهدة السلام مع مصر فإن التجمع لم يكن في استطاعته إعادة كل شبه جزيرة سيناء أو اقتلاع المستوطنات وإذا كان شامير يشن حرباً مثل التي شنّها رابين عندما قصف قري عديدة وأرغم السكان على الرحيل منها .. كان مئات الآلاف يخرجون إلى الشوارع معترضين ، ولذلك فإن الفرصة للتوصل الى تسوية اقليمية حقيقية في أية مرحلة ليست غداً ولكن ربما بعد فترة معينة فإن هذه الفرصة أكبر إذا عاد الليكود إلى الحكم »

* * *

وأصل إلى ختام جولتي مع ياعيل ديان التي تمثل تياراً داخل الكنيست يدعو للسلام مع الفلسطينيين والعرب بل وتتعاطف مع قضاياهم الي الحد الذي يعتبره الكثير من المتشددین نوعاً من التطرف .. قالت لي مؤكدة : « أنني لا يساورني أدنى شك في رغبتهم في السلام من أول ياسر عرفات حتى آخر الفلسطينيين المقيمين ، ولا تهمني الدوافع التي يرغبونها لتحقيق السلام ، فبعد



* هكذا رأيت إسرائيل *

صراع طويل وبعد أن انتهى الاتحاد السوفيتى ، وبعد كل الخيارات التي جربت.. يبقى السلام هو الخيار الوحيد ..»

وأضافت: « اننى بأرائى وموقفى هذا لا أشعر أننى وحيدة فى المجتمع الاسرائيلى ، ولا أشعر أننى أمثل مجموعة هامشية فى هذا المجتمع.. بل أنا استمد القوة من الشعب الاسرائيلى المستعد لتحقيق السلام والتسوية والانسحاب ، وأنا اعرف جيداً الثمن الذى يجب أن يكلفه هذا الأمر .. أننى أجرى بسرعة أكبر من الآخرين ، ولكن هؤلاء يصلون أيضاً إلى فى النهاية المطاف .. أننى احياناً أقف فى الزاوية وحيدة لكن لا يساورنى أدنى شك أن التيار كله سيصل فى نهاية الأمر إلى المكان الذى أقف فيه .. وهذا التيار هو تيار السلام ، وايضاً تيار التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وتيار قيام دولة فلسطينية ، والتي يقولون الآن أنها لن تقوم، وأنا واثقة بأن الدولة ستقوم فى يوم ما » .. وواصلت ياعيل ديان حديثها قائلة : « أننى دائماً أتذكر كلمات والذي موسى ديان : إن الحرب لا يمكن أن نمنعها لأن هذا مربوط بالآخرين.. أما الجهود من أجل السلام فلا بد أن تكون غاية وايديولوجية.»

الحقيقة أن كلمات ياعيل ديان أزاحت من نفسى الكثير من الضيق الذي سببه لى موقف صقور السلام وحمايم الحرب..

٣

هكذا رأيت إسرائيل

* صرخة من هؤلاء
الذين اغتالهم
الشقيق ولم يرحمهم
العدو.

* الكل يريد أن يحصل
على امتيازات بقبضة
يده وبطلاقات
الرصاص .

* أهالي غزة يعيشون
قمة المأساة في
مدينتهم المهلهلة .

رحلة غوص
في أعماق
النفس
الفلسطينية

«لندفن الماضي .. وننسى الكراهية والأحقاد»

هذه الكلمات قالها شيمون بيريز عند توقيع الاتفاق
الفلسطيني الاسرائيلي .. فهل يمكن تطبيقها حقيقة على
أرض الواقع ؟ وعلى أى واقع: الاسرائيلي الفلسطيني ..
أم الفلسطيني الفلسطيني ؟! .. وهل يمكن نسف الأحقاد
الدقية بين الفلسطينيين واليهود وبين الفلسطينيين
بعضهم البعض ، والتي تولدت ونشأت وترعرعت على
يد التآمر والقهر الاسرائيلي؟

سؤال محير آخر من بين الأسئلة الكبيرة التي رحت
أبحث عن اجابة عنها خلال رحلة التحدي مع النفس.
لست أدري إن كانت استعارتي لكلمات بيريز لأبدأ
بها حديث الغوص فى أعماق النفس الفلسطينية جاءت
من باب الحكمة أم من باب السخرية .. من باب
الاقتناع أم التعجب والاستغراب ؟ ومهما كانت لوافعى
الكامنة فقد فرضت هذه العبارة البيريزية نفسها علي
قلمي كما حددت مكانها فى البداية ..



* هكذا رايت اسرائيل *

والحاقا بهذه العبارة أجدنى اقتبس عبارة أخرى قالها مؤرخ يونانى قديم لوصف العلاقة بين الحكام الاسرائيليين والشعب الفلسطينى عندما قال: «إن القوى يفرض ما يريده والضعيف يعانون مما يلاقيه »

إن ما قاله المؤرخ اليونانى هى الحقيقة بعينها .. فمن الأمور البديهية أن المنتصرين هم الذين يكتبون التاريخ ، وبالتالي فإنه غالباً ما يكتب عن الأقوياء أكثر من الضعفاء ، وقد شوهت النزاعات التاريخية المتأصلة تاريخ فلسطين الحديث وتاريخ شعبها .. وقد تعرض المجتمع الفلسطينى للتفكك والتشتت ، وحتى الحقيقة التاريخية الخاصة بوجود فلسطين ككيان من قبل الفلسطينيين كشعب .. أصبحت محل خلاف وصورت على أنها وهم مشكوك فى صحته وأصالته ، ونسى العالم أن تدمير فلسطين أمر حديث جداً .. إن من يحاول الغوص فى أعماق النفس الفلسطينية لابد أن يعود إلى الوراء وينبش فى الجذور العميقة ليكتشف أن الصهاينة قد عاملوا الفلسطينيين باعتبارهم خاضعين لهم بل حرموهم من أى وجود ذى معنى فاهملوا الأرض قبل عام ١٩٤٨ م ، وبعد اقامة اسرائيل كدولة (للسعب اليهودي) وليست كدولة لمواطنيها تم إنزال الفلسطينيين من الناحية القانونية الي مرتبة أدنى (هى مرتبة غير اليهود) ، وهكذا أصبح كونك فلسطينى خلال العشرين عاماً الأولى من وجود اسرائيل.. يعنى إما النفى مع ما يصل إلى ٧٨٠ ألف فلسطينى تم طردهم عام ١٩٤٨م.. أو العيش بشكل مهين داخل اسرائيل مع باقى الفلسطينيين الذين يبلغ تعدادهم ١١٠ ألف فلسطينى ، والذين تمكنوا من البقاء ..

وقد كشف النقاب عن التفاصيل المروعة لتلك الحياة للعالم لأول مرة فى الكتاب الذى وضعه صبرى جريس بعنوان : العرب في اسرائيل - ١٩٧٦م-

والذي استكمّله فى عام ١٩٧٩م ايليا زريق فى كتابه : الفلسطينيون فى اسرائيل/ دراسة فى الاستعمار الداخلى - ١٩٧٦م .. وجدير بالذكر أن كلا الكاتبين هما نفسيهما نتاج للحياة كفردين من الأقلية الفلسطينية ..

وهنا يجب أن نعود للوراء أبعد من ذلك .. فمنذ ظهور دولة اسرائيل فى الوجود عام ١٩٤٨م - وبالرغم أن الاستعدادات لقيامها قد جرت قبل ذلك بفترة طويلة - تم إغراق الغرب بسلسلة كاملة من القصص والمفاهيم التى اكتسبت قوة وشرعية الحقيقة ، ورغم وجود أغلبية كافية تصل الى ٦٧٪ من العرب الفلسطينيين الذين كانوا يملكون أكثر من ٩٠٪ من الأراضى فى عام ١٩٤٨م ، وذلك بعد عشرات السنين من الهجرة والاستيطان اليهودى ..

سمع العالم عن أرض خالية يعارض سكانها بقوة الاستيطان اليهودى فى جبل صهيون حتى بعد وقوع المحرقة (الهولوكست) وبعد ذلك تكاثرت الأساطير وشكلت نظاماً أصبح فى الغرب على الأقل ، من الصعب كثيراً انكاره (فالغرب) تركوا الفلسطينيين لأن قادتهم دعوهم الى ذلك ، والعرب على وشك تدمير الدولة اليهودية ، ولأنهم كانوا متحالفين بالفعل مع هتلر فان معارضتهم لاسرائيل - أساساً - عنصرية وفاشية واسرائيل هى الديمقراطية التى يعد حق وجودها حقاً دينياً ويتفق مع الأخلاق .. حيث لا يوجد أحد عانى أكثر من اليهود .. ووجودها تاريخياً (حيث أن العالم بأسره قد وعد هؤلاء الليبراليين اليهود من أوروبا بأرض فلسطين الخالية.... وهى فوق كل شئ تتمتع بجاذبية سياسية .. حيث تبدو تجسيدا لكل صيغة يمكن تصورها عن الرواد والعلماء البارعين ودعاة الانسانية الجسورين ، والمقاتلين النبلاء ، واسرائيل هى هدف الهجمات التى تجاوزت فى العدد والوحشية إلى حد كبير .. أى



شئ أنزلته بأعدائها قبل ومنذ عام ١٩٤٨م على حد سواء ، واسرائيل ترمز الي التقدم والسلام فى حين يعد أعداؤها العرب مسلمين متعصبين ينتمون الي القرون الوسطى وقتلة متوحشين، ومنافقين يستحقون الاحتقار ، واضيف الي هذه الافكار امتدادات أو تفصيلات للنظام الرئيسى مثل القول بأن الفلسطينيين ليس لهم وجود ، وأن الأردن هى فلسطين فى واقع الأمر، وأن العرب يستخدمون الفلسطينيين كوسيلة لكراهية اليهود أو ليكونوا مؤذنين بلا مبرر .. ومع ذلك كان هناك دائماً العديد من الدلائل لدحض معظم إن لم يكن كل هذه الخرافات التى لم يكن هدفها الرئيسى كسب التأييد لاسرائيل فحسب بل أيضاً اخفاء الخسائر البشرية المروعة التى يتكبدها الفلسطينيون نتيجة ممارسات اسرائيل ..

فقد كان هناك دائماً فلسطينيون حقيقيون ينبضون بالحياة ، وكانت هناك أرقام الاحصاءات الرسمية للسكان ، وسجلات حيازة الأرض وتقارير الصحف والاذاعة وتقارير شهود العيان ، وبالطبع الآثار المادية البحتة للحياة العربية فى فلسطين قبل وبعد عام ١٩٤٨م ، وكان فى إمكان أى شخص يشعر بالاهتمام باكتشاف ما إذا كان الفلسطينيون قد فروا لأن قادتهم قد دعوهم لذلك والتحقق من مدى صحة هذا الزعم بمراجعة السجلات أو الاستناد إلى مصدر موثق بشأن يوم محدد ولكن يبدو أن أياً من هذين الاجرائين لم يكن ضرورياً وبالمثل كان فى الامكان مراجعة واكتشاف ما إذا كان العرب قد أدلوا ببيانات بشأن السلام أم لا أو ما إذا كان يمكن مقارنة (الارهاب) العربى من حيث النتائج بارهاب عصابات شتيون والهجاناة وارجون أو بمزاعم اسرائيل (بطهارة اليد) أو ما إذا كان من الحق أو العدل أو الحتميات التاريخية الوعد

بأرض يملكها أحد الشعوب لشعب آخر يستولى عليها بعد ذلك عسكرياً
ويشيد الغرب المستنير بالغزاة ويلقى اللوم أو يتجاهل الضحايا تماماً ..
لقد كان لهذه الخرافات عالمها الخاص بشكل أو بآخر واليوم فإنها تبدو
سخيفة ومنافية للعقل إلى حد كبير عما كانت عليه منذ ٤٦ عام وما زالت تبدو-
كذلك حتى الآن .

* * *

اصطحبني الشاب الفلسطيني ابراهيم إلى أحد معسكرات اللاجئين في
غزة واختار شاوين من بين الواقفين حولنا ليركبا معنا السيارة الي داخل
معسكر الشاطئ للاجئين .. الذي يزيد عدد سكانه على ٣٠٠ ألف نسمة لم أكن
قد رأيت طوال عمرى مخيماً للاجئين الفلسطينيين ، ولم أكن اتصور على
الاطلاق أن في القرن العشرين الذي يوشك أن يودعنا بشراً يعيشون مثلاً
يعيش سكان معسكر الشاطئ بقطاع غزة .. عشش من الصفيح شديدة
التواضع تتراص في شكل يصلح أن يكون لوحة سيرالية أو مشهداً عبثياً في
ملهاة إغريقية حزينة .

داخل المخيم تكس سكانى لا أظن أنه له مثيلاً في الدنيا بأسرها .. أطفال
صغار يملأون الطرقات والأزقة شديدة الضيق والقذارة ، أكوام الزباله تتداخل
مع العشش السكنية والبيوت مع الطيور والحيوانات والحشرات يتداخلون في
تمازج غريب كانت أعماقي تصرخ ، كيف تحمل ضمير الانسانية هذه المأساة
التي يعيشها سكان هذه المخيمات وطوال هذه السنوات؟.

ونظرت الى واحد من مرافقينا وقد طالت لحيته وسألته لماذا تعارضون اتفاق



* هكذا رأيت اسرائيل *

المبادئ غزة - أريحا ؟ بدأ الشاب الملتحي فى الكلام : الواقع نحن لسنا ضد أن يكون هناك سلام بيننا وبين الاسرائيليين لكن المهم هو مفهوم السلام الذى نريده.. أنه يختلف عن السلام الذى وقعوا عليه فى واشنطن.. السلام بالنسبة لنا هو السلام العادل الذى يعيد الحقوق المسلوبة من الشعب الفلسطينى .. يعيد إلينا ترابنا الوطنى .. أرضنا المشهودة وكرامتنا ، وليس السلام الذى يعيد إلينا عدة كيلومترات من الأراضى التى أرادت اسرائيل أن تتخلص منها .. هذه غزة أمامك.. ماذا يغري الاسرائيليين .. انها خرابة .. مدينة مهلهلة .. كل مرافقها مهترئة .

والواقع أن مشاعر التعاسة تستولى بصورة أو بأخرى علي جميع الفلسطينيين بدون استثناء ، الذين يعيشون منهم فى المدن أو المستعمرات ، والذين يعيشون منهم كلاجئين منذ ١٩٤٨م أو بعد حرب ١٩٦٧م والمعتدلين منهم والمتطرفين ... إن هذا الشعور هو رمز فلسطين نفسها والتعبير الصادق عن جذور الجرح الغائر الذى أصاب الأمة فى وجدانها ومقدساتها ، وهذا هو سر حالة العنف المتفشية فى بعض الأماكن ويعد اسلاميو حماس بأنهم على استعداد لتكرار انتقامهم من جنود الاحتلال كل يوم .

وأثناء جولتى فى مدينة أريحا اقتربت من أحد الرجال المسنين من الفلسطينيين الذين يسكنون بالقرب من عين السلطان ، قال الحاج اسماعيل (ابو مازن): « انا عمرى يزيد على الثمانين عاما ، لا أعرف كم سنة يزيد على الثمانين، لكن كانت أقصى سنوات العذاب التى عشناها بعد حرب ١٩٦٧م وفى ظل الاحتلال الاسرائيلى .. صدقني يا بنى إننا كأننا بشر منسيون .. لا اهتمام بشئوننا وكأننا لسنا بشراً .. أنا أحزن كثيراً عندما أسمع بعض الأخوة



الذين يقولون لماذا أريحا بالذات .. حيث نجد أن البعض لا يقنع بأريحا .. أقول لهؤلاء .. أنتم لا تعرفون أريحا .. إنها مدينة الخيرات .. إذا اعطيتموها فسوف تعطيكُم .. إن أرضها خصبة ومياهها حلوة وخيرها كثير .. ولا يزال أبو مازن ينطلق بسيمفونية حب أريحا : «تعرف يا ولدى أريحا هذه زارها كثير من الأكابر .. الخديوى اسماعيل عندكم من مصر جاء الى هنا ، وهيلاسلاسى زارنا أيضاً من الحبشة .. بورقيبة من تونس .. رشيد كرامي ، وكثير وكثير .. انظر يا بنى للأعلام الفلسطينية التي تزين كل البيوت لقد كنا عطشى لهذا اليوم » ، وماهى إلا ثوان حتى فوجئت بشاب يقترب منا وقد بدت الغلظة على وجهه .. ألقى علينا السلام ، ثم توجه إلى متسائلاً : من أين الأخ ؟ قلت من مصر .. قال : أية خدمة ؟ قلت : أنا صحفي وبعمل تحقيق صحفي عن الأحوال بعد اتفاقية غزة - أريحا .. قال بغلظة : احنا ما بنحبش الصحافة والصحافيين .. قلت ليه ؟ قال بسخرية : مش انتم فى مصر بتغنوا من غير ليه - فضنا يا أخينا من ها الشغلة .. نظرت إلى والده فجاء رد الفعل سريعاً عندما قال لابنه : عيب يا باسل الرجل ضيفنا .. رد هذا اللاباسل يا با ها دول الصحفيين ما بييجى من وراهم غير وجع الراس .. نظر الرجل الى وقال : معهلش يا ولدى حقك على ، ابنى باسل مهندس ميكانيكى ، واتعلم عندكم فى مصر وكمل فى امريكا .. هو طيب بس عصبى حبتين ..

قلت ولا يهكم يا حاج اتفضل كمل كلامك .. أخذ الرجل يعدد لى فوائد ومزايا اتفاقية السلام وتأبيده لها .. كان الرجل متحمساً رغم سنه ، وبعد قليل جاء الفتى اللفظ بعد أن كان قد تركنا بضع دقائق بادرنى قائلاً : معلش يا أخ لا تؤاخذنى أصلى مش عاجبانى الاتفاقية اللي بيسموها سلام دي .. انتهزت



الفرصة وقلت : اجلس يا أخ باسل وحدثني عن -أيك .. قال بشرط لا تصورني ولا تكتب اسمي.. اكتب كلامي إذا اردت ..

قلت لا بأس : تفضل .. وانطلق باسل يتحدث عن القضية الفلسطينية، وعن التسويات العربية والخيانة العربية والضعف العربي .. عن الاضطهاد والعنصرية .. عن اليأس الذي يعيشه الشباب الفلسطيني مما دفعه للانتفاضة، ويادرني باسل بسؤال : تفكر فيه حد صنع الانتفاضة من الذين يدعون قيادتهم لها .. كذابين .. لقد صنعها الشعب الفلسطيني المقهور في الداخل .. انها موجة ركبها بعض القيادات من هنا وهناك ، ولبس الجميع أثواب الشجاعة.. قال باسل لاتزال كلماته تنطلق مثل طلقات الرصاص وطلقات الحجارة .. كانت حرارة الكلمات ترتفع كأنها اطارات السيارات المحروقة وقنابل المولتوف وأصابع الديناميت .

الانتفاضة ظلت تؤدي واجبها سنوات قبل أن تمتد اليها أية يد للمساعدة، وبعد ان تلقت المساعدات من جهات عديدة لم تكن كلها مخلصه في نية المساعدة.. تحولت الانتفاضة بعد سنوات أذاقت خلالها الاسرائيليين ألواناً من العذاب مثلما عذبونا ..أذهبت النوم من عيونهم وولدت الرعب في نفوسهم وأسكنت الخوف في قلوبهم .. بعد أن شعر اليهود بأنهم غير آمنين على بيوتهم وأنفسهم وممتلكاتهم .. على حاضرهم ومستقبلهم .. بدأ الاختراق للانتفاضة ينحرف بها عن أهدافها فعمت الفوضى الشارع الفلسطيني وتحول كثيرون من الجناح العسكري للانتفاضة الى بلطجية تحول التمرد على الاحتلال الى تمرد على الآباء والأمهات، على التقاليد والأصول والقيم..فكان ما كان من جرائم تقع باسم الانتفاضة وكان الشرفاء من المناضلين من أكثر المتضررين من هذا

السلوك غير السوى الذى اتبعه حفنة من المستهترين.. بدأت عدواهم تتسع حتى أصبح مظهر الانتفاضة هو الارهاب والبطجة، وشيئاً فشيئاً استطاع الاسرائيليون تكوين فرقة من المثلثين الذين يقومون بأعمال اجرامية حتى يكره الشعب الفلسطينى الانتفاضة التى صنعتها إرادته النضالية الوطنية ونجح الاسرائيليون للأسف فى ذلك .. بل فى تجنيد بعض العناصر المشبوهة للعمل فى تشويه ممارسات الانتفاضة ... واكتساب الاعداء لها كل يوم.. قلت لباسل : إن كلامك هذا فيه كثيراً من التجنى على الشرفاء والمناضلين من رجال الانتفاضة ..

قال فى عصبية : من قال أن كل رجال الانتفاضة خانوها أو تجاوزوا أهدافها أو نالوا من كفاح ونضال أبطالها .. يا استاذ اللى بيحكمك ده بكل تواضع من قيادات الانتفاضة .. ثم اردف قائلاً : إن شالله تكون ارتحت الآن.. قلت محاولاً تخفيف انفعالاته : صدقنى أنا كعربى فخور بالانتفاضة لكن صدقنى أيضاً إن ماتقوله عن سلبياتها جديد تماماً على ..

قال : للأسف لا أحد يقبل الحقيقة .. لا أحد يستطيع أن يتحدث بصراحة ويمارس النقد الذاتى .. من يجرؤ أن يتحدث عن سلبيات الانتفاضة من داخلها أو من خارجها .. سوف يتهموه بالخيانة العظمى للقضية أسهل شئ لدينا نحن العرب هو أن يتهم أحدها الآخر بالخيانة بينما الخونة الحقيقيون لديهم ألف وسيلة لإخفاء تفاصيل خيانتهم قلت : والآن ما هو موقفكم .. إلى أين ستسير الانتفاضة بعد اتفاق المبادئ مع الاسرائيليين؟..

قال : أولاً نحن ضد هذا الاتفاق الذى ينهى كفاح الشعب الفلسطينى الى هذا الفتات الذى يهللون من أجل الحصول عليه .. لقد تمت مصادرة آمال



شعبنا ومصادرة مسيرة كفاح الأجيال القادمة .. لاتصدق أننا سوف نحصل على أكثر من ٢٥ كيلو متر التي تقف فوق جزء منها الآن (مدينة أريحا) .. وأنت كما ترى فإن هذه الأريحا التي ترتفع فوقها الأعلام الفلسطينية فرحاً وحبوراً هي من الأراضي المهملة والتي لا يوجد بها أى مرافق ،، انها صحراء جرداء كما تري اللهم بعض المزارع القليلة وبعض المحلات التجارية الصغيرة.. ماذا يوجد بأريحا ؟.. هل تعلم انها ملعونة لى التوراة ، لذلك لم تقم فيها مستوطنة اسرائيلية واحدة ولا يحبها اليهود .. اما غزة فهو قطاع تعيس يتكدس فيه ٨٥٠ ألف انسان فى بقعة حوالى ٣٥٠ كيلو متر ، ولا يوجد عمل للكثيرين من أبنائها .. لقد أراد اليهود التخلص منها فأعطوها لياسر عرفات وأصحابه وللأسف فرحوا بها وهللوا مثلما حدث مع أريحا .

تسألنى عن المستقبل .. عن خطوتنا القادمة .. إن المنظمات الفلسطينية الوطنية .. كلها ترفض هذا الاتفاق المشبوه لكن يخطئ من ينتظر أن يتقاتل الشعب الفلسطينى نحن فى فترة هدنة .. نلتقط الانفاس .. نتابع ونرصد.. نتأهب للغد ولا أقول نتصيد .. اذا كانت هناك خطوات جادة لاستعادة الضفة الغربية والقدس فسوف نرفع غصن الزيتون ونستعد لاستعادة المزيد من أرضنا المسلوبة .. يخطئ من يعتقد أننا نريد أن نطرد اليهود ونرميهم فى البحر .. فنحن لسنا غوغاء أو متخلفين .. الشعب الفلسطينى أكثر الشعوب العربية تعليماً وثقافة .. نحن نريد تعايشاً سلمياً مع اليهود .. فنحن نعترف أنهم كانوا يعيشون معنا فوق هذه الأرض منذ زمن قديم ، لكن القدر والجشع والحلم الصهيونى هو الذى قادهم لاحتلال أراضينا بالقوة وأبداً لن ننسى هذه الأرض أو نفرط فى ذرة تراب منها .. تسألنى ماذا سنفعل .. سننتظر وإن غداً لناظره

لقريب..قلت : أخ باسل..أفهم من ذلك أنك من حركة حماس..ابتسم بعد طول عبوس يا أخى كل لبيب بالاشارة يفهم .. عايزني أقولك أيه يعنى ١٩..قلت: فهم، ولكن كيف تفسر التناقض بين وجهة نظرك ونظر والدك..

قال: أبى رجل (ختيار) عمره أكثر من ثمانين عاما . . عاش حلم عودة فلسطين .. وهاهو يتأثر بما يسمع بأن فلسطين عادت من بوابة أريحا فيصدق ويفرح ويهله له يا أخى احنا ظروفنا صعبة تعبنا من الحروب والدم ،تعبنا من الجحود العربى .. ضربنا من الأشقاء فوق كل أرض ذهبنا إليها .. العدو لا يرحمنا والشقيق يغتالنا .. لذلك فإن الكثيرين من أبناء فلسطين اشتاقوا للحظة فرح وقد رأوا فى اتفاق المبادئ هذا فرصة للفرح والتهليل.. لكنهم لا يدركون أى فخ نصب لهم ... ونظر إلى باسل وقال : عرفت ليه انا كنت بأرفض اتكلم معاك أو ابويا يتعب نفسه فى شرح مشاعر وانطباعات لأنك لن تستطيع ان تكتب كلمة واحدة مما قلته أو قاله أبى لك .. كثيرون غيرك جاؤا إلى هنا .. تحدثنا اليهم.. شرحنا لهم .. لكنهم لم يستطيعوا أن يكتبوا كلمة واحدة مما نقول وماذا يفيد الحكى لقد جفت ألسنتنا ولكن لا حياة لمن تتنادى .

وبعد لم يكن بوسعى أن أصادر رأى باسل .. هذا الشاب الثائر على كل شئ .. اليأس من كل من حوله .. الساخط على قدره وواقعه ورفاقه .. ولم يكن بوسعى أيضاً أن أتجاهل صرخته .. قررت أن أكتبها .. أسجل أنينها بمداد حزين غير عابئ بإمكانية نشر كلماته من عدمه .. يكفى أننى مارست الأمانة بينى وبين نفسى .. قلت لباسل : وأنا أستعد للرحيل .. نسأل الله أن يصلح الأمور وأن يكون الغد أفضل من اليوم بإذن الله .. هز باسل رأسه وهو يقول إن شاء الله .

إن الأمر الواقع الآن يؤكد أنه على الشعب الفلسطيني أن يواصل انتظاره قبل تحقيق أحلامه كاملة ولكن أين هذه الأحلام وسط هذا الجو السلطوى .. حلم أن يتفرغ الطالب لعلمه والتاجر لتجارته .. حلم فرصة العمل المتاحة لكل فرد والزواج وحق البناء .. حتى يكون له مكانه الخاص فى بلده فيشعر بالاستقرار وبأنه يعيش مثل غيره من البشر فى مناخ آمن يجعله يسير فى الشوارع بدون خوف من المطاردة بعيداً عن جو التفتيش والاحتجاز والمهانة الذى دأب أن يتعرض له قبل عبور أى جسر .. أمنيته أن يعيش بلا خوف ولعل السؤال الذى يفرض نفسه هنا :ماهو السبيل لكى يتوصل الفلسطينيون إلى تحقيق هذا الخليط المركب من الهوية والحرية والسلطة ؟ .. التى تجعل مكان تواجدهم بلداً مكتمل العناصر ١٩ ..

وإلى أن يحين هذا الموعد ، ينعم الفلسطينيون .. أو بعضهم بفرحة اعتراف العالم بهم بعد سنين الاقتلاع من أراضيههم والتشريد والحروب .. فهل مجرد الاعتراف فى حد ذاته يريح النفس الفلسطينية المرهقة ؟ .. ويعد مكسباً كبيراً بعد سنوات طويلة من التجاهل والنكران والعذاب النفسى الأليم ١٩ ..





هكذا رأيت اسرائيل

* حلم اسرائيلي خاص
جداً لمشكلة المدينة
المقدسة .

* الاسرائيليون :

القدس الموحدة هي
العاصمة الأبدية لنا .

* الفلسطينيون :

القدس وليست أريحا
عاصمة الدولة
الفلسطينية الجديد .

المدينة العتيقة
بين
الهوية الفلسطينية
والحلم الصهيوني

تحتل مدينة القدس مكانة مركزية في القضية الفلسطينية ، حيث لا مجال للتوصل الى حل نهائي وعادل لهذه القضية تتوافر له شروط الحد الأدنى من القدرة على التماسك والاستمرارية دون أن تكون القدس مشمولة في هذا الحل وتقع في القلب منه .. فبالنسبة إلى الفلسطينيين فإن القدس ليست فقط تلك المدينة المقدسة في العالم العربي الاسلامي والمسيحي .. بل كانت وعلى مدى العصور أمراً حيوياً وجوهرياً وأحد المحددات الاساسية للهوية الفلسطينية ، وأيضاً للثقافة العربية الاسلامية في المنطقة ومن ثم اصبحت قضية القدس هي المسألة الأصبغ والأشد حساسية في كل مفاوضات التسوية .. فالاسرائيليون من الناحية الأخرى يزعمون أنهم بحاجة إلى القدس باعتبارها جزءاً أساسياً من الحلم الصهيوني ، ولأنها هي العاصمة الأبدية لنولة إسرائيل.. الأمر الذي يجعل عملية التسوية في النهاية أمراً معقداً ومحفوفاً بالصعاب..

وكان لا بد وأن تحتل مدينة القدس مكانها المستحق في رحلة التحدي مع النفس، لذلك فتحت ملفها وطرحها على بساط الحوار والمناقشة مع كل من التقيت بهم من المسؤولين على الجانبين الاسرائيلي والفلسطيني لعلى أخرج في



* هكذا رايت اسرائيل *

المؤلف يقف أمام قبة الصخرة



النهاية بهيكل مفتاح واحد تجمع أسنانه وجهتى نظر الطرفين..
ولكن هيهات أمام تمسك الاسرائيليين (صقورهم وحمائهم) بموقف
واحد راسخ هو أن القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لاسرائيل ، وهو
موقف مشترك سواء فى تكتل الليكود أو تحالف العمل وإن اختلفت
عبارات الطرح أو تلونت أو غلفت فى أوراق من السوليفان .

* * *

قبل الخوض فى غمار هذه الحوارات نقوم بجولة فوق أرض واقع مدينة
القدس مروراً بالتاريخ الحديث .. لقد قامت اسرائيل خلال حرب ١٩٤٨م
باحتلال القطاع الغربى من القدس «القدس الجديدة» .. ورغم قرارات الأمم
المتحدة ، أعلنت اسرائيل فى ١١/١٢/١٩٤٩م القدس عاصمة رسمية لها بدلاً

من تل أبيب ووافق الكنيست في ١٩٥٠/١/٢٣م على اعلان القدس عاصمة دائمة لاسرائيل .. ولحق أهم تطور بوضع المدينة المقدسة عندما تمكنت اسرائيل من احتلال القدس الشرقية في ١٩٦٧/٦/٧م ، وقامت فور احتلالها باتخاذ اجراءات من شأنها تغيير الطابع العمراني لمدينة القدس وتكوينها الديموجرافى ، وهيكلها العام وذلك عن طريق إقامة طوق من المستعمرات حول المدينة ومصادرة الاراضى العربية وتعريض المقدسات الاسلامية للانتهاك أكثر من مرة ، وكذلك المقدسات المسيحية ..

وتماشياً مع الاهداف التوسعية لاسرائيل والرغبة فى فرض أمر واقع جديد فقد أعلنت الحكومة الاسرائيلية فى ديسمبر ١٩٧٤م عن مشروع القدس الكبرى الذي تضمن توسيع حدود القدس لتضم اليها ثلاث مدن ، و٢٧ قرية عربية ، وقد تمخضت هذه السياسات فيما بعد عن إصدار الكنيست قانوناً فى ١٩٨٠/٧/٣٠م باعتبار القدس الموحدة عاصمة أبدية لاسرائيل ، ومن الناحية السكانية أشارت المصادر الاسرائيلية على لسان نائب رئيس بلدية القدس « افراهام كحيلة » إلى أن القدس الشرقية أصبحت تضم ١٥٨ ألف يهودى فى مقابل ١٥٥ ألف عربى ، وأن اليهود أصبحوا يشكلون ٧٣٪ من سكان شطرى القدس ، ويمثل العرب ٢٧٪ فقط من إجمالى سكان المدينة ، وقد جاء ارتفاع عدد السكان اليهود فى القدس الشرقية نتيجة للتخطيط المتواصل والمساعدات المالية السخية من جانب الحكومة .. إذ تمت مصادرة آلاف الهكتارات من الاراضى العربية لبناء المستوطنات الجديدة وإصدار تشريعات ونظم تعطى أفضلية لاسكان اليهود وتحد من محاولات العرب لإنشاء مبان جديدة .



* هكذا رايت اسرائيل *

كما أن عدد المستوطنين اليهود في الأراضي العربية المصادرة في القدس يزيد الآن على عددهم في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة .. فمنذ عام ١٩٦٧ استوطن حوالى ١٢٠ ألف يهودى في الأراضي المحتلة ، ويقدر كحيلة : أنه بالإضافة الي الـ ١٥٨ ألف يهودى الذين استوطنوا في القدس الشرقية فان هناك حوالى ٤٠ ألف يهودي آخرين استوطنوا في القدس الغربية .

وقد قامت البلدية ببناء حوالى ٢٧ ألف وحدة سكنية لليهود في القطاع الشرقي من القدس منذ حرب ١٩٦٧م ، وتمت المصادقة على تراخيص بناء عددها ١٦٥٠٠ للعرب .. غير انه لم يتم بناء سوى نسبة ١٠٪ منها لأن الحكومة لا توفر الأموال اللازمة لذلك . وأظهر تقرير صدر في شهر يوليو الماضى عن بلدية القدس ونشرته صحيفه «جيزوز ليم بوست» أنه تم تحديد ١٥٢١٠ مسكناً جديداً لكل القطاع العربى فى المدينة، وقال التقرير أن الحكومة تحد بشكل نظامى من النمو فى عدد سكان العرب من خلال تطبيق نظام الحصص.

كما أن السماح باصدار مخططات البناء لا يعنى أنه يتم بناء المساكن، واستناداً على التقديرات التى صدرت مؤخراً فإن اسرائيل بنت ١٠٠٠ مسكن لليهود في القدس الشرقية مقابل كل منزل بنى للعرب فيها .

وهكذا تم خلق الحقيقة السكانية الجديدة فى المدينة حسب ما يقول «كحيلة» وقد قال للجنة التخطيط فى المدينة : « لقد أصبح اليهود أغلبية فى القطاع الشرقي من القدس على مدى العامين الماضيين والسبب الرئيسى فى ذلك هو تسارع عملية الإسكان والاستيطان فى ضاحية « بسفات زئيف» وسوف يتم بناء ستة آلاف وحدة سكنية أخرى فى المنطقة ..»

إن الاستيطان اليهودي في القدس لم يتماش مع نسبة المواليد المرتفعة لدى العرب فحسب ، بل زاد عليها كثيراً ففي عام ١٩٨٣ م .. كان اليهود يشكلون نسبة ٧١,٤٪ وساعد على ذلك موجة الهجرة اليهودية الجديدة ، وخصوصاً في الاتحاد السوفيتي السابق ، إن الهامش السكاني في القطاع الشرقي المتنازع عليه من القدس لهم ، وبحكم الحق الانجيلي والتاريخي والعسكري .

ويتفق نائب رئيس بلدية القدس «افراهام كحيلة» مع وجهة النظر هذه ، ويقول لست سياسياً يمينياً ، فأنا من الوسط من حزب العمل ، غير أن أي انسان يتحدث عن تقسيم المدينة يلعب بالسلام ..

بعد هذه الجولة السريعة من فوق أرض الواقع في مدينة القدس أتوقف أمام كلمات نائب رئيس بلدية القدس واتساءل : ترى هل حقيقة أن أي انسان يتحدث عن تقسيم المدينة يلعب بالسلام؟ ..!

* * *

في لقائي مع يوسى بيلين نائب وزير الخارجية الاسرائيلي وأحد فرسان اتفاق المبادئ الاسرائيلي الفلسطيني .. حيث كان له دور أساسي في مباحثات أوسلو اضافة لاتصالاته مع قيادات منظمة التحرير الفلسطينية ، ولقائه مع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بتونس .. رغم هذا الدور الايجابي ، فعندما فتحت معه ملف قضية القدس والرؤى الكثيرة التي تعددت حولها وطلبت منه تحديد موقف الحكومة الاسرائيلي قال بحدة : هناك موضوعات أساسية تصر اسرائيل عليها ومنها قضية القدس .. فالقدس لا بد وأن تكون موحدة وأن تظل السيادة عليها لاسرائيل وأن يكون لها بلدية واحدة .. هذا هو موقفنا المبدئي والواضح . ولكن في هذا الاطار يمكن أن يصبح لسكان شرق القدس حكم



* هكذا رايت اسرائيل *

ذاتي أيضاً .. لكننا لا نقبل أى نقاش حول تجزئة القدس ولكن يمكن بالطبع أن يشارك الفلسطينيون في انتخابات القدس ، كما يمكن تجزئة القدس من الناحية الادارية ومن الناحية الدينية بالنسبة للسكان المسلمين واليهود .

وعندما قلت لثائب وزير الخارجية «يوسي بيلين» : وماذا عن الهوية ، وعن السيادة على القدس؟.. رد بحزم : السيادة ستكون لاسرائيل ، ويمكن للفلسطينيين أن يكون لهم السيطرة على الحياة اليومية إدارياً.. المهم أن الحرية ستكون مكفولة فى الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود فى كل البلاد- لابد أن تعرف ذلك - وإذا توصل كل طرف الى معرفة حقيقة الطرف الثانى فإن ذلك كفيل بحل أية مشكلة، والمسألة فى النهاية مسألة وقت.

قلت للسيد بيلين: أراك تتحدث بشكل حازم جداً ، ولا تبدي أى قدر من المرونة فى حديثك عن مستقبل القدس..الى هذا الحد أنتم متشددون فى هذه القضية، التقط ملاحظتى بدبلوماسية وابتسم قليلاً ثم قال: انها ليست قضية مرونة أو تشدد..فكما ترى فإن المشكلة ليس لها صورة الحل الآن بشكل نهائى وإذا كان الفلسطينيون يرون أن لديهم رؤية للحل النهائى فحسننا .. أن كل مشكلة لها حل بالطبع..فلماذا لا نترك مشكلة القدس للحل النهائى؟

يبدو أن المسئولين الاسرائيليين قد اتفقوا على أن تظل قضية القدس يكتنفها الغموض وأن يبقى الحديث عنها معلقاً إلى أن يأتى موعدها فى المفاوضات التى لا يعلم إلا الله كيف ستسير .. وإلى أين ستصل .. فقد لمست هذا الموقف أيضاً خلال لقائى الطويل مع «يوسي ساريد» أحد الحماثم التقدميين الاسرائيليين ، ولكن الحماثم فى اسرائيل حذرين جداً عند الحديث عن قضية القدس .. حتى ولو كان أحد هذه الحماثم فى موقع وزير مثل يوسي

ساريد الذي ما ان فتحت معه هذا الملف متسائلاً عن مصير مدينة القدس حتى تعمد اغلاقه سريعاً قائلاً : « إن القدس سيؤول أمرها للمفاوضات التي ستبدأ بعد عامين كما هو موضح في اتفاق اعلان المبادئ ».

وحاولت ان اتعرف على وجهة نظره كمسئول اسرائيلي رفيع وينتمى الى جبهة الحمايم ، في امكانية أن تظل القدس الشرقية تحت الادارة الفلسطينية فقال لي: من الصعب البت في ذلك الآن .

أمام هذا الموقف الذي اتخذه المسئولون الاسرائيليون عند الحديث عن مدينة القدس ، رأيت أن يكون منفذى الي مناقشة هذا الملف مع بعض أعضاء الكنيسة باعتباره أهم مؤسسة سياسية في اسرائيل كسلطة تشريعية تتخذ القرارات في الموضوعات السياسية وتسن القوانين ..

والغريب أننى وجدت نفس الموقف حتى من جانب من ينتمون الي جبهة الحمايم .. الكل يرجئ كل شئ الي المفاوضات حتى «ياغيل ديان» التي تراهن على السلام مع الفلسطينيين وإقامة دولة فلسطينية قريباً تحفظت في الحديث مباشرة وصراحة عن قضية القدس وحولت دفته الي كلام عن المستوطنات متهمه الذين يروجون لبناء مستوطنات جديدة داخل القدس أنهم يعملون ضد راين .. وقالت انه من الخطأ الاعتقاد بان اضافة البناء في القدس يحدث في داخل الاحياء الاسلامية في شرق القدس .

ورغم أن ياغيل ديان تعترف بأن المستوطنات تشكل عقبة في مسيرة السلام والوصول الي حل لمشكلة مدينة القدس .. الا انها تقول انه ليس من المعقول ان نصل الي اتفاق بشأن هذه المسألة وقبل المفاوضات التي ستوصل الي اتفاق شامل.



* هكذا رايت اسرائيل *

اما «عوفاريا عيلى» وهو أحد الصقور المتشددين في الكنيسة عندما سألتها عن وجهة نظره في قضية القدس قال على الفور : إن القدس هى عاصمة اسرائيل ، ويجب ان نجد الطريق لضمان الوصول الى الاماكن المقدسة بصورة حرة ، ولا ننكر ان هناك اماكن مقدسة ونعلم مدى اهميتها بالنسبة للمسلمين والمسيحيين ، ويجب ان نتيح لهم حرية الوصول الى هذه الاماكن ولم يشأ السيد عوفاريا ان يخرج عن النص فقال : إن هذا الموضوع متروك للمفاوضات ...

ربما كان موقف «مائير شترتيت» أحد اعضاء الكنيسة البارزين عن حزب الليكود ، والذي رفض معارضة اتفاقية السلام رغم افكاره المتطرفة .. ربما كان موقفه فيه شئ من التحديد فعندما سألتها عن رأيه في مصير مدينة القدس في الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى الذى لم يعارضه قال :

لقد عبرت عن ذلك عند التصويت ، وقلت اننى لا أعارض الاتفاق ولكن على الدولة أن تحافظ على خمسة مبادئ أو نقاط رئيسية وهى : عدم قيام دولة فلسطينية - عدم تقسيم القدس - مواصلة مرابطة قوات الجيش الاسرائيلى بصورة دائمة على نهر الأردن - ضمان أمن المستوطنات - عدم منح حق العودة الى حدود ما قبل ١٩٦٧ م .

* * *

خارج نطاق المسئولين واطباء الكنيسة سمعت آراء واضحة ومحددة.. الجنرال ابراهيم تامير - أحد الشخصيات البارزة جداً فى اسرائيل والذي شارك فى كل الحروب ، ويشغل الآن منصب رئيس اللجنة الادارية لمركز الابحاث السياسية والامنية بجامعة حيفا وكاتب محترف وله مؤلفاته وكلها عن

السلام ... خلال حوارى الطويل معه ذكر أكثر من مرة عبارة « حل خاص للقدس » وكان لزاماً أن أطلب منه تحديد معنى هذا الحل بالضبط فقال :

« فى رأى أنه يمكن ربط القدس العتيقة بالقدس مثلما كان عليه الحال فى ظل عهد الانتداب ، ويمكن للقدس الموحدة ان تأخذ عدة اشكال لكن أولاً لابد من أن نحدد حدود القدس الموحدة ، وأنا أعرف أن هناك مشكلة بالنسبة لوضع الحدود للقدس القديمة وفى رأى أن أنسب الحلول أن تكون هناك بلدية عربية وبلدية يهودية .. مدينة عربية ومدينة يهودية ، وان يكون مجلس اعلى بحكم المدينتين وليس هذا اختراعاً جديداً .. فهناك مثال واقعي وهو الفاتيكان .. وهكذا حل مشكلة القدس يجب الا يكون حلاً سياسياً وانما حلاً دينياً كما قال الملك حسين .

ورأى صريح آخر سمعته من شفيق جبالي محرر الشؤون العربية والشرق الاوسط بجريدة معاريف الذي قال لي : « أنا شخصياً أرى أن تظل القدس مدينة موحدة يهودية فلسطينية مع بلدية موحدة عربية- اسرائيلية .. ان هذا هو الحل الوحيد لان بها اماكن مقدسة وحساسيات تهتم ملايين المسلمين فى العالم .. لابد ان نفكر فى المشكلة بجدية وسنجد أن الحل كما قلت. بلدية موحدة وانتخابات موحدة وايضاً هوية موحدة وكذلك سيادة موحدة .. حتي يتمكن كل اسرائيلي أن يدخل الى القدس حيث الأماكن المقدسة ...

وأنا كصحفى وابن للبلد واعرف اللغتين العبرية العربية أقول فى كل مرة أسافر الى القدس أجد انفصاماً بين القدس العربية واليهودية ، ومنذ اليوم الأول الذى بدأت فيه الانتفاضة وحتى الآن أرى أن هناك شعبين منفصلين .. الفلسطينيين يعيشون منفردين فى القدس العربية ، ولا أرى اسرائيليين

كثيرون هناك باستثناء الأماكن المقدسة عند حائط المبكى مثلاً، وبالعكس الاسرائيليون تجدهم في القدس اليهودية، وهناك انشقاق بالفعل.

وفي يوم التوقيع على الاتفاقية الفلسطينية الاسرائيلية شاهدنا الاعلام الفلسطينية تخرج فجأة من داخل البيوت الفلسطينية في القدس لترتفع على المساجد والأسوار والكنائس .. وقد كان هناك احتفال خاص بفيصل الحسيني. رفع فيه العلم الفلسطيني بالقدس، ولم يتدخل أى اسرائيلى في هذا الخصوص

* * *

وأتوقف عند هذه الكلمات الموجزة التي سمعتها من «لطيف دورى» سكرتير لجنة الحوار الاسرائيلى الفلسطينى ، وهو انسان يهودى استطاع أن يخرج من دائرة التعصب والجنوح فراح يسعى مع غيره لتحقيق السلام ، وفى حوارى الطويل معه سألته رأيه فى قضية القدس وما إذا كانت اسرائيل ستعيد القدس لاصحابها فقال : «إننى انظر دائماً بصورة ايجابية ومتفائلة إلى السلام العربى الاسرائيلى، وكما قلت فإن القاعدة هى السلام المصرى الاسرائيل .. لتأخذ هذه القاعدة وبنى عليها .. إن السلام الاسرائيلى العربى بدأ مع السلام المصرى الاسرائيلى ، والآن وصل إلى السلام الفلسطينى الاسرائيلى ، والسلام الكامل لن يكون إلا بإقامة الدولة الفلسطينية الي جانب اسرائيل، أما قضية القدس فيجب حلها على اعتبار أن القدس الشرقية هى أرض عربية..أما القدس الغربية فهى أصلاً من اسرائيل الموحدة ، وهذا هو الحل الوحيد ومن هنا نتقدم الى السلام الواقعى، وإذا تم الاتفاق مع سوريا يتحقق السلام الشامل .

كثيرون هم الفلسطينيون الذين التقيت بهم في رحلة « التحدى مع النفس » من قيادات رسمية وشعبية ومواطنين عابدين .. وكثيرة هي الحوارات التي دارت بيننا ووجهات النظر التي طرحت فيها .. وشملت جميع القضايا ومن بينها بالقطع قضية القدس ..

وكان فيصل الحسيني من أول هذه القيادات ليس فقط باعتباره أحد مستشاري الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ، والرئيس الحقيقي لفريق المفاوضين الفلسطينيين في مباحثات مدريد - وواشنطن ، ولكن لأنه قبل هذا وذاك من أبناء مدينة القدس وأحد قيادات العمل الفلسطيني في الداخل حيث مقر إقامته الدائمة بالقدس ..

وفيصل الحسيني يعي المواقف الاسرائيلية تماماً ، ويعي بنفس القدر أن الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي لم يحقق كل شيء ولكنه في نفس الوقت مقتنع بإمكانية تطوير الاتفاق ليحقق أكثر فأكثر من الأهداف وصولاً الى وجود دولة فلسطينية بأسرع مما أتوقع أنا وغيري .. هذا ما قاله لي فيصل الحسيني ، واضاف في رده على السليبيات والانتقادات التي يرصدها البعض في الاتفاق حول تجزئة المرحلة الانتقالية عبر القبول بتطبيق الحكم الذاتي .. فقال : لقد كان مطلوباً منا أن يكون هناك حكم أو مرحلة انتقالية .. أى «حكم ذاتي في مرحلة انتقالية على كل الأرض الفلسطينية يتعلق بالدرجة الأولى بالانسان وليس الأرض ، وما حصل الآن أن هذه المرحلة الانتقالية قسمت الأرض الى جزئين .. جزء نبدأ فيه فوراً بالسيطرة على الأرض والإنسان سوياً ، وعلى أن نبدأ في مد هذه السيطرة تدريجياً الى مناطق أخرى توجد لنا فيها سيطرة على مجالات أخرى في حياة الانسان ولكنها تمتد تدريجياً لتصبح شاملة ..





إن بدلاً من أن نستمر سنتين نعيش حكماً ذاتياً بعيداً عن شكل الدولة فإننا سنعيش على جزء من الأراضي الفلسطينية ملامح المرحلة النهائية .. أى ملامح الدولة ... وعندما قلت للسيد فيصل الحسيني : وأين تقع مدينة القدس من ملامح هذه الدولة مع استمرار غموض موقفها فى ظل الاتفاقية ؟!؟

قال : انه فى داخل المجتمع الاسرائيلى وبعض الوزراء أيضاً يتحدثون فى هذا الامر .. كما بدأت قطاعات واسعة توجه الانتقادات تحت شعار القدس عاصمتان فى مدينة واحدة أو عاصمة لدولتين ، واعتقد ان مستقبل القدس هو أن تكون عاصمة مفتوحة حرة.

أما جميل الطريفي أحد أقرب مستشاري ياسر عرفات فقد تحدث معى من خلال المسئولية المنوط بها كرئيس للجنة استلام السلطة للدولة الفلسطينية الجديدة فى ظل اتفاق المبادئ ، ومن هذا الموقع أبدى اعتراضه على السؤال

الذى طرحه البعض لماذا أريحا عاصمة للدولة الفلسطينية الجديدة ؟ ..

وقال إن احد لم يقل أن أريحا عاصمة الدولة . الكل يصير على أن القدس هي العاصمة ، وأوضح الطريفي قائلاً : إننا في ظل الاتفاق الجديد اخترنا موقعين حدودين فأولاً غره على الحدود المصرية ، وغزة تعيش ظروفاً مأساوية للغاية . كثافه سكانية عالية فقر وحاجة مضيئة ، البنية الاساسية مهدمة تماماً عندما عرص الاسرائيليون موضوع غزه وقالوا اتفضلوا خذوا غزة ..

كان الرد من القيادة الفلسطينية إنا لاننجزأ لا الأرض الفلسطينية ولا الشعب الفلسطيني ، وبالتالي إذا كان لابد لمثل هذا القرار فيجب أن تأخذ جزءاً آخر من الضفة العربية .. ونؤكد أن الضفة والقدس وغرة هي وحدة أقليمية واحدة ، وهذا ما أكدنا عليه في الاتفاق . حتى لو بدأنا بأريحا ، ولكن لماذا لم يكن نابلس أو الخليل ؟ الحقيقة لأن أريحا منطقة حدودية سنبدأ بها كي تمارس العبادة الفلسطسيه صلاحياتها فيها فالطبع لا يحور أن نكون محاطة بالجنود أو الجيش الاسرائيلي ، خاصة ونحن نتكلم الآن عن إعادة انتشار للجيش الاسرائيلي في الضفة العربية وليس انسحابا خلال الفترة الانتقالية

ثانياً علما أن نلاحظ أنه صحيح اتفاق مرحلي مؤقت ، ولكنه يحمل في طياته الحل النهائي بمعنى أن هناك شيئاً اسمه انسحاب يعتمد على قرار ٢٤٢ ، ٣٣٨ وبص في هذه الاتفاقية على أن الحل النهائي يجب أن يكون بتنفيذ قراري مجلس الأمن وليس أساس قرار مجلس الأمن وتنفيذه بالانسحاب ..

ولا يختلف رأى (عند الوهاب الدراوشة رئيس الحزب الديمقراطي العربي) وهو الحزب الذي يمثل القوة العربية الوحيدة المتواجدة على الساحة السياسية داخل اسرائيل حيث اتفق الى حد كبير مع رأى جميل الطريفي بقوله إن غزة/

أريحا أولاً ليست نهاية المطاف وإنما يتبعها ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً حتى يتحقق إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة إلى جانب دولة اسرائيل، وقال إن من يقرأ الاتفاق ويطلع عليه سيرى إنه سيتم انتخاب مجلس فلسطيني ييسر سيطرته الكاملة في المرحلة الانتقالية على كافة الأراضي الفلسطينية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة ويكون مجلساً منتخباً، وسيشارك سكان القدس الشرقية العربية في انتخاب هذا المجلس الذي ستكون صلاحياته على الأراضي المحتلة كافة، وتبقى بعض القضايا الحساسة مثل المستوطنات والحدود النهائية وقضية مدينة القدس ليتم التفاوض عليها بداية من العام الثالث لاتفاقية المبادئ.

وهكذا تظل قضية القدس هي الأصعب والأشد حساسية عندما تخترق الجدران وتدخل نطاق التفاوض، وفي هذه الحالة يستلزم ضرورة العثور على مفتاح واحد تجمع كل أسنانه وجهتي نظر الطرفين الفلسطينيين العربى من ناحية والاسرائيلي من ناحية أخرى..



٥

هكذا رأيت اسرائيل

* لماذا تتمسك اسرائيل
بالجولان رغم أنها
ليست أرضاً توراتية.

* سكان المستوطنات :

مجنون من يتصور
وجود حكومة
اسرائيلية تستطيع
إعادة الجولان لسوريا.

* على الرئيس الأسد
اقناع الشعب
الاسرائيلي قبل اقناع
الحكومة .

فوق الجولان
تأكدت
أن الاسرائيليين
متميزون
في الخداع
وقلب الحقائق

فى شهر يناير ١٩٩٤م .. احتلت سوريا مرة أخرى مكان الصدارة فى عملية السلام فى الشرق الأوسط بقاء الرئيس السورى حافظ الاسد والرئيس الأمريكى بيل كلينتون ، وبهذا اللقاء منحت الولايات المتحدة الامريكية الرئيس حافظ الاسد اعترافاً رسمياً بدوره المهم فى المنطقة من أجل مواصلة المشوار للوصول للسلام الشامل والعادل والدائم فى المنطقة ، وتكررت نفس المحاولات خلال الشهرين الماضيين .. فهل حققت هذه المحاولات الهدف المرجو منها ؟ ..

وهل اقتربت المسافات بين وجهتى النظر السورية والاسرائيلية للتوصل الى اتفاق على أساس قرارى ٢٤٢ ، ٣٣٨ والذان يقضيان بانسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧م تحقيقاً لمبدأ الأرض مقابل السلام، وهو المبدأ الذى تركز عليه أى تسوية سلمية بالنسبة لسوريا؟ ..



إننى هنا لست بصدد محاولة الاجابة على هذين السؤالين أو غيرهما من الأسئلة التى تدور فى هذا الاطار لأن هذا الأمر فى تقديرى ما زال سابقاً لأوانه خاصة أن لقاء الأسد وكلينتون لم يسع النقاط فوق كل الحروف الحائرة والمعقدة بالنسبة لمسألة الأرض مقابل السلام .. أى انسحاب اسرائيل الكامل من الجولان حتى يتحقق السلام مع سوريا .. فهذا الانسحاب تواجهه عقبات وتعقيدات كثيرة خلقتها اسرائيل ولا تريد التراجع عنها ..

ولكن لماذا وكيف وصلت مشكلة الجولان الى هذا الحد من التعقيد؟

هذا هو السؤال الذى رحت أبحث له عن اجابة خلال رحلة التحدى مع النفس فى الاراضى المحتلة ، ومن فوق هضبة الجولان نفسها قبل سفرى الى اسرائيل وفى لقاء مع الدكتور مصطفى خليل رئيس وزراء مصر الاسبق والذي يعتبر مهندس العلاقات المصرية الاسرائيلية، وأحد كبار الخبراء فى شئون منطقة الشرق الأوسط .

أوضح فى حديثه معى أن قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذى نتحدث عنه سوريا دائماً وتتخذ موقفها على أساسه.. هذا القرار لم يحدد المعنى المقصود بالسلام ، واسرائيل تفسر معنى السلام بأنه عدم حدوث إعتداء بين الدولتين وهو تفسير صحيح حسبما قال لى المتخصصون فى القانون الدولى، وهكذا أصبحت المشكلة هى الاختلاف فى تعريف معنى السلام .. سوريا تفسره أنه يعنى الانسحاب الكامل من جانب اسرائيل ، واسرائيل تطالب بضمانات للأمن وأول هذه الضمانات تطبيع العلاقات وتبادل السفراء.

ولذا كان مؤتمر مدريد عقد على أساس السلام مقابل الأرض إلا أنه لم يتم تعريف السلام كما لم يتم تحديد الأرض ، ومن هنا قالت اسرائيل



الانسحاب بالجلولان وليس من الجلولان ، وعندما تناقشت مع مختلف القيادات الاسرائيلية فى هذه المسألة وطلبت منهم توضيحاً لمدى الانسحاب قالوا إننا لا يمكننا الإفصاح عن مدى الانسحاب قبل أن نعرف مدى السلام.

وأضاف الدكتور مصطفى خليل قائلاً : اننى اعتقد ان الاسرائيليين يرغبون فى الاتفاق مع سوريا ولكن المشكلة من يبدأ أولاً .. سوريا أم اسرائيل، وفى واقع الأمر فإن الجلولان ليست جزءاً من الاراضى التوراتية التى تطالب اسرائيل بها كما انها لا تهم الاسرائيليين ، ومن خلال مناقشاتى مع القيادات الاسرائيلية ارى انهم على استعداد للانسحاب من الجلولان ولكن ليس قبل أن توافق سوريا على اتفاق أمنى وشامل مع اسرائيل ..

عندما التقيت فى القدس «بيوسى بيلين» نائب وزير خارجية اسرائيل، وسألته عن سبب إصرار اسرائيل على عدم الانسحاب من الجلولان خاصة وانها ليست جزءاً من الاراضى التوراتية التى تطالب بها اسرائيل .. قال: إن المشكلة مشكلة أمن وليست مشكلة أرض توراتية ، ولابد لنا جميعاً أن نتذكر أنه بعد حرب ١٩٦٧ فإن الحكومة الاسرائيلية اعلنت استعدادها للرجوع الى الحدود النورية قبل ٦٧ مقابل السلام وقبول هذا التعهد (بلاغات الخرطوم) .. لذلك لا يمكن أن تتخذ اسرائيل مبدأ عدم الانسحاب من الاراضى المحتلة بعد ٦٧ وليس من العدل اتهامها بذلك .. اننا نريد السلام وانسحابنا من كل الاراضى التى احتلت بعد ٦٧ هو أمر سهل جداً خاصة أن معظم الرأى العام الاسرائيلى ينظر إلى هضبة الجلولان باعتبارها مهمة جداً من أجل أمن اسرائيل وليس من منظور كونها أرض توراتية أو غير توراتية أو ايديولوجية، ولكن لابد لى ننسحب من الجلولان أن نتوصل الى اتفاقية سلام مع سوريا ..

* هكذا رأت اسرائيل *

إن الجولان الآن جزء من دولة اسرائيل ، وعلى الرغم من ذلك فإن حزب العمل يصرح لأول مرة بلسان رئيس الحكمة حيث قال : « لن نتمسك بالجولان ويمكن الانسحاب منها بشرط السلام » لابد أن يتمسك الرئيس الأسد بهذه الصيغة لأنها فرصة جيدة بالنسبة له ، ولو كنت مكانه لتشبثت بهذه الفرصة .. ان المشكلة ان الرئيس الاسد لم يقل انه مستعد للسلام مع اسرائيل ..

قلت لنائب وزير الخارجية : بالعكس فان الرئيس الاسد أعلن أكثر من مرة استعدادة للسلام .. السلام الذي يعيد الجولان لاصحابها وكذلك الاراضى المحتلة الأخرى ..

قال بيلين : المشكلة تتمثل في أن الرئيس الاسد لم يقل لنا تفسيره للسلام .. انه يتحدث عن الانسحاب فقط ، وهو يريد تفسيرات اسرائيلية واضحة بالنسبة للانسحاب ولا يأتى بتفسيرات واضحة لهذا السلام ، ومن هنا فإن سوريا هي التى تخلق موقفاً صعباً فى طريق السلام ولسنا نحن

والواقع يؤكد أن التعقيد الشديد لوضع هضبة الجولان فى التسوية لا يرجع الى تداخل عوامل كثيرة فى عملية التفاوض حولها ، وذلك على الرغم من ضم اسرائيل لها عام ١٩٨١ وموافقة الكنيست فى ١٢/١١/١٩٩١م على مشروع قانون يطالب الحكومة الاسرائيلية باستبعادها من مباحثات مدريد ، لكن يرجع هذا التعقيد الى اهميتها الاستراتيجية الحيوية لكل من أمن سوريا وأمن اسرائيل في نفس الوقت ، لا سيما فى ظل التوازن المتقارب نسبياً فى عناصر القوة العسكرية للجانبين ، وهو ما يجعل للاعتبارات الجغرافية أهمية كبيرة ، وبصرف النظر عن أى اعتبار سياسى أو أمنى فإن الجولان أرض سورية تحتلها اسرائيل ، ومن المحتم عودتها الى الحظيرة السورية ..

ومن وجهة النظر الاسرائيلية السائدة ، فإن الجولان تمثل خطاً دفاعياً متقدماً لمستوطنات سهل الحولة ، وسهل الأردن يمكنها من التعامل مع أية هجمات عسكرية برية بعيداً عن الأراضي الاسرائيلية ، كما توفر الهضبة المرتفعة لاسرائيل فترة إنذار مبكر تصل الي عدة دقائق في حالة الهجوم الجوي السوري ، وعدة ثوانى في حالة هجوم صاروخى ضد اسرائيل ، وباختصار .. فان التخلي عن الجولان وعودة القوات السورية للتمركز بها قد يعرض اسرائيل - من وجهة نظرها - لهجوم مفاجئ يعرض أراضيها للخطر كما حدث خلال الايام الاولى من حرب اكتوبر ١٩٧٣ م .. فهضبة الجولان كما يقول رئيس الاركاب الاسرائيلي «ايهودا باراك» تعد ثروة أمنية من الدرجة الأولى بالنسبة لاسرائيل ..

أما بالنسبة لسوريا فانها ليست في حاجة للحديث عن أهمية الجولان الامنية لها فهي أراضيها ، وهناك قرار لمجلس الأمن ٢٤٢ يرتب ما يجب التوصل اليه بشأنها ، وكانت سوريا قد أعدت منذ حوالى عامين مقترحات تفصيلية لترتيبات أمنية للجولان تعتبر كافية من وجهة نظرها لضمان الأمن الاسرائيلي بصورة مقبولة تماماً إذا قبلت اسرائيل مبدأ الانسحاب الشامل من الجولان وتستند تلك الترتيبات على إقامة مناطق منزوعة السلاح في الهضبة ، وعلى الجانبين السوري والاسرائيلي بشكل متكافئ وإقامة محطات انذار مبكر متطورة على الجانبين بما يسمح لاسرائيل بصد أى هجوم سوري قبل وصوله الى ما وراء نهر الأردن هذا بالاضافة الى ضمانات أخرى كفيلة بمنع أية عمليات تسلل تتم من الاراضى السورية باتجاه شمال اسرائيل ..

ان مناقشة عقلانية لمسألة الجولان يمكن أن تظهر مدى المبالغة



* هكذا رأيت اسرائيل *

الاسرائيلية في أهميتها الأمنية بالنسبة لها .. فعمق الجولان الحالى نفسه ٣٠ كيلو متر لا يمكنه منع صواريخ المدفعية السورية من الوصول لشمالى اسرائيل، كما ان اسرائيل تقوم ببناء مستوطنات تقع فى مدى المدفعية الميدانية السورية ، والواقع أن تعقيد تلك المشكلة مرتبط بمدى تعقيد عملية التسوية بين سوريا واسرائيل بما تضمنه من عناصر مختلفة .. إذا لماذا كل هذا التعقيد الاسرائيلى لقضية الجولان؟ .. ولماذا الاصرار على عدم الانسحاب من الجولان واعتبارها ثروة أمنية من الدرجة الأولى بالنسبة لاسرائيل ١١٩.

بعيداً عن تبريرات السياسيين والمسؤولين الاسرائيليين الذين التفتت بهم فى الاراضى المحتلة أجدنى استرجع تلك الكلمات التى سمعتها فى مبنى الكنيسة وبالتحديد فى مكتب عضو حزب الليكود الياهو بن اليسار عندما قال: «بالنسبة للجولان.. الجولان لم يشمله الانتداب البريطانى ولذلك لا يمكن اعتباره جزءاً من اراضى اسرائيل الغربية .. لكن سوريا اعتدت على اسرائيل عدة مرات ، وقد استعملت الجولان قاعدة للعنوان ضد اسرائيل ، وخسرت الجولان ، ولا يمكن أن تأتى سوريا اليوم وتقول أنا أخطأت فى الماضى مع شديد الأسف .. أعييوا لنا الجولان ، بصراحة أنا لا أثق بسوريا ولا مناص لنا من الدفاع عن أنفسنا عن طريق التمسك بالجولان».. وأربط بين هذه الكلمات وهذا الحوار الذى دار فوق هضبة الجولان بينى وبين رجل اسرائيلى من سكان إحدى المستوطنات فى الجولان قال الرجل : إن اقامة المستوطنات فى الجولان هو أحد اجراءات الأمن وأقول لك صراحة هو نوع من أنواع فرض الأمر الواقع.. لقد كانت سوريا تهددنا من فوق هذه الهضبة التى قمنا بضمها لنا لنوعى الحماية والأمن ..

- قلت الآن هناك محاولات جادة للسلام الشامل فماذا سيكون موقفكم إذا تحقق مثل هذا السلام على أساس إعادة الجولان لسوريا مقابل إنهاء الصراع بين الدولتين؟.. ضحك وقال : من المجنون الذى يتصور أنه توجد فى اسرائيل حكومة تستطيع أن تقدم على هذه الخطوة .. لقد أخذنا الجولان بعد أن دفعنا ثمناً غالياً فى الحرب فكيف يأتى اليوم من يطالب بإعادة الجولان لسوريا بالسلام ، وأردف قائلاً : هذا كلام فارغ يقوله السياسيون ، وهم فى النهاية لا يملكون كل شئ ..

خرجت من المستوطنة ، وفى السيارة قلت لمرافقى الذى اصطحبني فى زيارتى للجولان .. إن هذا الرجل من المتشددين .. اليس كذلك ؟.. قال بالعكس ما سمعته من هذا الرجل هو ما يقوله كل الاسرائيليين متشددين وغير متشددين .. ألم تر اللافتات التى تطالب الحكومة بعدم إعادة الجولان لسوريا تملأ كل مكان .. على الحوايط والصدور والسيارات ، وفوق الدراجات وعلى جذوع الشجر .. قلت ولكن ما قيمة بضعة آلاف من اللافتات فى مقابل قضية حيوية ومهمة لأمن اسرائيل ومستقبلها؟..

قال يا عزيزى :الرأى العام هنا غيره فى أى بلد آخر الحكومة لاتستطيع أن تبتعد كثيراً عن رأى الشارع وإلا سقطت .. هذه هى اسرائيل. وأقول بينى وبين نفسى هذه هى اسرائيل التى تنكر الحق على أصحابا وتستحقه لنفسها مستندة إلى دعاويها الباطلة .

لقد احتلت اسرائيل الجولان عام ١٩٦٧م ، وفى أعقاب هذا الاحتلال حاولت خلق حقائق استيطانية بشكل مكثف ..



* هكذا رأيت اسرائيل *

فقد بدأ النشاط الفعلى للاستيطان الاسرائيلى فى الجولان عندما أقامت اسرائيل أول مستعمرة أو مستوطنة لها في الأراضى العربية المحتلة سنة ١٩٦٧م.

ففى ١٦ يوليو سنة ١٩٦٧م شرعت اسرائيل فى بناء مستوطنة «مبرومهجولان» على أرض المرتفعات السورية المحتلة ، ويلاحظ أن هضبة الجولان بالذات قد أخضعت منذ أن احتلتها القوات الاسرائيلية لعملية الاستيطان بطريقة مكثفة فى محاولة من اسرائيل لتهويدها .

خلال زيارتى لهضبة الجولان لاحظت أن طريقة توزيع المستوطنات فى أرجاء الجولان ذات طابع عسكرى ، والذى يمثل دوراً بارزاً من استراتيجية الاستيطان الاسرائيلى حيث نرى أن هذه المستوطنات تتمركز فى نطاقين أساسيين .. النطاق الأول يمتد على شكل قوسى يبدأ من سفوح جبل الشيخ قرب مدينة «بانياس» السورية ثم يسير بمحاذاة خط وقف إطلاق النار فى ١٠/٦/١٩٦٧م.. على امتداد المحور الرئيسى أى على طريق مسعدة - القنطرة - الرفيد - الحمة.

ويتمركز النطاق الثانى فى جنوب غرب الجولان وذلك عند حدود ٤ يونية سنة ١٩٦٧م بمحاذاة الشواطئ الشرقية لبحيرة طبريا، ومما يدل أيضاً على أهمية العامل العسكرى فى استيطان هضبة الجولان .. طبيعة تكوين هذه المستمرات وطبيعة تحصينها وموقعها الاستراتيجى ، وقد علمت من مرافقى أن معظم هذه المستوطنات تنتمى الى نوع «ناحال» أى مستوطنة شبه عسكرية.. وتسعى اسرائيل دائماً إلى تبديد مخاوف المستوطنين اليهود وذلك عن طريق تكثيف عمليات الاستيطان ودعمها مادياً ومعنوياً وبشرياً... وقد اتخذ

الاستيطان الاسرائيلى فى الاراضى المحتلة شكلين أو مؤسستين رئيسيتين هما : «الكيبوتس» و«الموشاف» ..

الكيبوتس : هى مستوطنة أو مستعمرة جماعية يتراوح عدد سكانها ما بين ثلاثين الى ١٥٠٠ شخص ، وتعود الملكية الى الجماعة المستوطنة ككل وليس فيها أية ملكية فردية ، ولما كانت الأرض فى الكيبوتس ملكية عامة فإنها توزع على المستوطنين فيها بموجب سند إيجار رسمى ، ويقوم الكيبوتس على التكامل فى الخدمات وتنسم العلاقات بين المستوطنين بالمساواة التامة فى الانتاج والاستهلاك والتعليم ومفهوم الكيبوتس مستمد فى الأساس من المبدأ الاشتراكى الذى يهدف إلى إنشاء مجتمع بلا نقود ..

أما «الموشاف» : فهى قرية تعاونية أو مستعمرة أو مستوطنة حيث تعود الملكية فى الجماعة للأفراد .. أى أن الأرض ملكية عامة ولكنها توزع بالتساوي على العائلات فى المستوطنة ، وفى الموشاف يمنح العمل بأجر فى المزارع ويخطط العمل بشكل يمكن أفراد العائلة فى انجاز العمل وحدهم ويتم تسويق الانتاج تعاونياً ، والحياة فى الموشاف أخف مما هى عليه فى الكيبوتس لأن لكل عائلة وحدة استهلاكية وسكنية مستقلة وتختلف معدلات الدخل بين العائلات ، ولكن الملاحظ أن الكيبوتس نال شهرة أوسع من الموشاف وذلك بسبب وضعه الدفاعى والعسكرى والأمنى ،

إن معالم الجغرافيا تقول أن هضبة الجولان تقع فى الزاوية الجنوبية الغربية من سوريا ، وتسقط حافة الهضبة الغربية بجرف عال وشديد الانحدار على أرض سهل الحولة وطبريا .. ويفصل نهر اليرموك بين هضبة الجولان وبين الأردن من ناحية الجنوب .. أما من ناحية الشرق فإن الهضبة لا تعتبر حائلاً

أمام المتجه إلى دمشق .. بينما فى الشمال يقف جبل حرمون منتصباً ..
وتقدر مساحة هضبة الجولان بحوالى ١٧٠٠ كيلو متر مربع تحتل منها
اسرائيل حالياً ١٥٠٠ كيلو متر مربع ..

ولأن هضبة الجولان مفتوحة من جهة الغرب على سهول فلسطين
الشمالية وعلى جبالها فهى قريبة من البحر المتوسط ولذلك تصلها بسهولة
الرياح الممطرة ، سواء الرياح الغربية أو الرياح الجنوبية الغربية .. الأمر الذى
يرفع درجة الرطوبة النسبية للجولان .. ولذلك فإن الرطوبة دائماً لا تنخفض
عن ٤٨٪ صيفاً بينما تصل فى الشتاء الى ٨٣٪ .

أما تاريخ هضبة الجولان فيقول إن موقع الهضبة جعلها ممراً مهماً
واستراتيجياً بين سوريا وفلسطين وذلك حاولت الشعوب التى استوطنت هذه
المنطقة أن تسيطر على هذا الممر الحيوى .. من الغريب جداً أن اسرائيل تدعى
أن هذه المنطقة لم تكن مأهولة بالسكان .. رغم أن الوثائق التاريخية القديمة
تؤكد أنها من المناطق المأهولة بالسكان منذ القدم وحتى العصور الحديثة ..

فقد عاش فى الجولان فى الفترة التى سبقت مجئ العثمانيين اعداد من
القبائل العربية التى وصلت فى الفتح الاسلامى ، وامتزجت هذه القبائل بالعرب
من الفساسنة والخمين وبقايا الأنباط .

وفى نهاية القرن الماضى ، ومع بداية العهد العثمانى قام العثمانيون
بتسكين مجموعات من المسلمين القفاسين والطورانيين الى جانب السكان
الأصليين ، وامتزج هؤلاء الوافدون الجدد بالسكان الأصليين من العرب ..
وأصبحوا جميعاً يتكلمون العربية .. الأمر الذى يؤكد أن سكان هضبة الجولان
من العرب ، حتى من قبل أن يفكر أى يهودى صهيونى فى القدوم الى فلسطين

بعد هذه الوقفة مع وقائع وحقائق التاريخ والجغرافيا أعود مرة ثانية إلى أرض الواقع من فوق هضبة الجولان التي قضيت فيها يوماً كاملاً أتفقد أراضيها الخصبة واتنفس هواءها النقي .. انتقل من مستوطنة الى أخرى وأتجاوز مع سكان المستوطنات وتجمعات الكيبوتس والموشاف وفي نفسى غصة كبيرة من اللحن الشاذ الذي يعزفونه جميعاً ويعلقون النوتة الموسيقية له على حوائط (العودة الجولان).

كانت دهشتى كبيرة .. كيف تم إنشاء كل هذه التجمعات والمؤسسات فى الطريق الى الجولان وفوقها .. فالاحصائيات تقول إن اسرائيل قد أقامت فى الجولان أكثر من أربعين مستوطنة يسكن فيها قرابة ١٥ ألف اسرائيلى رغم الاعتراضات الدائمة للسكان العرب والاضرابات العديدة التي قاموا بها .

من أقدم هذه المستوطنات مستوطنة «حيروم هجولان» وتعتبر أول مستعمرة أو مستوطنة اسرائيلية أقيمت فى الجولان وتآلفت قواتها الاستيطانية الأولى من المستوطنين الذين وفدوا من مستوطنات الجليل بفلسطين حيث سكنوا فى البيوت المهجورة فى قرية العليقة فى ١٦/٦/١٩٦٧م ثم انتقلت فى مارس ١٩٦٨م إلى معسكر سابق للجيش السورى شمالى غرب القنيطرة وقريباً من قرية نفسخ ، ولكن ما لبثت أن انتقلت فى سنة ١٩٧٢م الى موقعها الدائم فى غربى جبل بنطل .. تكلفت ١٧ مليون ليرة اسرائيلية .

ويعمل المستوطنون فيها بالزراعة وبها مصنع للبلاستيك وكذلك الصناعات الانشائية ، وتبلغ مساحة المستوطنة ٤٥٠٠ دونم ، فيها ٢٥٠٠ دونم للزراعة ومساحة للمراعى تقدر بحوالى ٣٣ ألف دونم ..



أما مستوطنة «شفير» فقد تأسست ركيزتها في ١٤/٨/١٩٦٧م في شمالي مرتفعات الجولان السورية حيث تقع بالقرب من نبع بانياس بجوار خط الهدنة وقريتي تل العزيزات وتل الحمرة في المنطقة المجردة من السلاح ، غير انها تحولت في اكتوبر ١٩٦٨ الى الكيبوتس٠ يتبع حركة الكيبوتس القطري- ميام وتبلغ مساحتها حوالي ٢٠ ألف دونم للمراعى ، ٢٠٠٠ دونم للزراعة ، ويعتمد اقتصادها على الزراعة المتطورة وتربية الماشية والدواجن كما أن هناك بعض الصناعات الغذائية ومعملاً لأدوات التدفئة .

وهناك أيضاً مستوطنة «افيك» التي اقيمت في ١٧/١٢/١٩٦٧م باسم «ناحال هجولان» حتى عام ١٩٧٢ واصبح اسمها افيك .. ثم تم نقلها في ربيع ١٩٧٣ الي موقعها الدائم الى الغرب قليلاً في عمق المرتفعات السورية هذا وتم توسيعها حيث تشغل مساحة من الأرض تبلغ حالياً ٥٠٠٠ دونم وتعتمد في اقتصادها على الزراعة المتطورة وتضخ المياه اليها من بحيرة طبريا في فلسطين المحتلة ..

وهناك أيضاً شاهدت مستوطنة «مرفوحمة» التي انشئت كنقطة «ناحال» نى ٢٢/١/١٩٦٨م في جنوب الهضبة السورية عند حمامات الحمة في بادئ الأمر ثم نقلت الى موقع أعلى يشرف على بحيرة طبريا في يونيو ١٩٦٨م على أراضى قرية الحمة قرب الموقع السوري القديم المسمى - مزرعة عز الدين- وبعد الانتقال تحولت الى كيبوتس تابع لكتلة مبادئ من حزب العمل الاسرائيلي وتقدر المساحة التى تقوم عليها هذه المستوطنة بحوالى ٥٠٠ دونم بالإضافة الى تخصيص مساحات شاسعة للرعى ، وتقع شمال شرقى المستوطنة وتقدر بحوالى ٢٥٠٠٠ دونم .

ويعمل المستوطنون بالزراعة المتنوعة ، وأنشئت بعض الصناعات
الالكترونية سنة ١٩٧٥م ، ويشارك قسم من المستوطنين بعض الكيبوتسات
فى المنطقة فى إدارة حمامات الحمة الساخنة المعدنية ، وتضخ المياه اليها من
بحيرة طبريا بفلسطين .

وتعتبر مستوطنة «رامات معشيميم» أكبر المستوطنات فى الجولان حيث
تبلغ مساحتها ٥٠٠ دونم ، كما انها أولى المستعمرات المتدنية فى الجولان،
وقد اقيمت ركيزة هذه المستوطنة كنقطة - ناحال فى ٥ يوليو ١٩٦٨م فى جنوبى
شرق الجولان بالقرب من المنطقة المجردة من السلاح ثم تم نقلها الى مركز
جديد يقع فى شمالى شرق قرية «فيق» إلا أنها تحولت فى ١٩٧٢م الى
موشاف تعاوني - تتبع الحزب الدينى القومى - المبدال - وتعتمد المستوطنة
على الزراعة وخاصة التفاح ، وفيها معهد ديني يعرف باسم «جولان
للدراسات النظرية» ..

إن مستوطنة «عاد العال» التي اقيمت سنة ١٩٦٨م ..على أراضي القرية
العربية «العال» المصادرة وتقع جنوب الجولان وعلى بعد ١٦ كم شمالى الحمة-
وظلت ناحال حتى مايو ١٩٧٣ حين تحولت الى موشاف بعد تأسيسها وفى
الربع الأخير من ١٩٧٣م تحولت الى مستعمرة دائمة من فئة موشاف حيث
شيدت فيها المباني الدائمة، واستوطنتها نواة من الفتيات والفتيان الذين أنهوا
الخدمة العسكرية وينتمون الي حركة الموشافيم وكان عددهم فى البداية ٣٠،
٤٠ مستوطناً، ويذكر أن المستوطنة هذه سميت «العال» نسبة الى القرية العربية
التي تأسست على أراضيها إلا أن الاسم تحول الي ايلي عاد وذلك نسبة الى

ايلى كوهين الذى تم إعدامه فى دمشق بعد أن اكتشفت سوريا أنه جاسوس ونصل الى مستوطنة «راموت» التى تأسست سنة ١٩٦٨ م .. فى شمال وادى البطيحة السورى ثم توسعت وتحولت الى مستوطنة دائمة فى فئة الموشاف سنة ١٩٧٣ م .. وأصبحت تتبع حركة الموشافيم .

وهى تطل على بحيرة طبرية بالقرب من قرية «كفر عقب» وبنيت بيوتها الخشبية على شكل مثلثات .. ويشكل نواة هذه المستوطنة المهاجرون الروس وهم أعضاء نواة عالية ٧٠ - وجميع هؤلاء من الاكاديميين .. وتعتمد على الزراعة والسياحة ومساحتها ٥٠٠٠ و٤ دونم ..

أما مستوطنة «رامات شالوم» فقد اقامها يهود قدموا من الولايات المتحدة الامريكية وبعض دول أوروبا فى ٢٣/٤/١٩٦٩ م ، وتقع فى شمالى الجولان على المنحدرات الجنوبية الغربية لجبل الشيخ ، بنيت على قرية حيات الزيت العربية بالقرب من قلعة النمرود على هضبة يبلغ ارتفاعها حوالى ١٠٠٠ م .. وكانت هذه المستوطنة قد هدمت من قبل مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين ثم بنيت مرة ثانية ١٩٧٥ م .. ثم تحولت الى موشاف تعاونى تابع لحركة (عوفيو هتسيونى) أى العامل الصهيونى .. وتعتمد على السياحة الشتوية لأنها مركز من المراكز الشتوية فى سفوح جبل الشيخ السياحية ، ومساحتها ٤٠٠ دونم مزروعة باشجار التفاح .

* * *

فى طريق العودة تعاودنى الغصة وأنا أشاهد هذه اللافتات المعلقة على الحوايط التى تطالب بعدم عودة الجولان الى اصحابها وأتذكر هذا الحديث



الذى دار بينى وبين عضو الكنيست « مائير شترتيت » احد اقطاب الليكود عندما أكد ان الانسحاب من الجولان يعد خطراً كبيراً على اسرائيل .. ثم قال :

« إن طريقة تصرف الرئيس الاسد خلال السنوات الماضية تجاه اسرائيل يجب الا تجعله يتطلع باننا «سننزل غدا من الجولان».. اننى ارى انه لا مانع من الانسحاب من الجولان واعادتها كاملة لسوريا ، ولكن بعد خمسين سنة من حالة استقرار السلام، وليس لدينا مانع ان ندفع للسوريين اجر استهلاك عن فترة الانتقال هذه « ٥٠ سنة » .. ثم عاد يقول : إن هضبة الجولان تشكل نصف فى المائة من مساحة سوريا وبالتالي فانها لاتعد موضوعاً يستحق كل هذه الأهمية ..»

أثارنى بشدة رأى «مائير شترتيت» فقلت له : إن لدينا أموالاً كثيرة لماذا لا تؤجرون لنا تل أبيب ؟ .. قال وقد صنع ابتسامة ساخرة على شفثيه : الأمر مختلف هنا فأنا لم أطالب بدمشق .. وأردف قائلاً : عندما نتفاوض مع شخص فلا يجب أن تطلب (عينه) لكن أطلب فقط بعض الشعيرات من رأسه ..

وتتحرك على شفثى ملامح ابتسامة يلحظها مرافقى .. وسألنى عن سببها فقلت له : السبب هذه اللافطات التى تطالب الحكومة بعدم إعادة الجولان وباستمرار الاسرائيليين على دعواهم الباطلة التى لن يكون لها إلا نتيجة واحدة هى أن السلام لا يمكن أن يتحقق وبما يعنى أنكم تسبحون عكس كل التيارات حتى ضد حكومتكم التى بدأت تسير فى اتجاه السلام .. قال : ألم أقل لك من قبل أن هذه هى اسرائيل !؟ ..

ومن أجل هذه الخاصية استطاعت أن تستمر وسط جيران يريدون التهامها والقاعها فى البحر ، وفى ظل وجود دولة مثل إيران تعمل كل ما فى



وسعها للقضاء على اسرائيل وتصدر اليها الارهاب .. دفعنى هذا الرد الى أن أسأل مرافقى : بصراحة لماذا أنتم مكروهين من الدنيا كلها .. من النازيين فى الماضى والآن من العرب وايران كما ذكرت!؟..

صمت الرجل قليلاً ثم قال : لا أعرف .. ليس لدى تفسير لكن ربما لأننا متميزون! .. وهكذا كشف هذا الوصف عن العقدة الكامنة فى نفوس الاسرائيليين والتي تعبر عن المشكلة الحقيقية التى يعانون منها .. حقاً أنهم متميزون فى الخداع وقلب كل الحقائق .

وفى ختام هذه الجولة فوق الجولان .. وبعد كل ما شاهدت وما سمعت من مواقف متشددة تجاه هذه القضية أجد بعض العزاء فى الكلمات التى قالها لى السفير محمد بسيونى سفير مصر فى اسرائيل عندما التقيت به فى مكتبه بتل أبيب وقلت له : ان التمسك بالجولان مسألة لاحظتها فى كل تصريحات الساسة الاسرائيليين من الليكود والعمل الذين التقيت بهم وأيضاً الشارع الاسرائيلى ممثلاً فى رأي المواطن الاسرائيلى أو اللافتات الكثيرة التى تقول لا لعودة الجولان .. ألا ترى أن التمسك الاسرائيلى يمكن أن يمثل عقبة أمام حلال السلام على المسار السورى !؟

قال : دعنى أذكرك بتصريح موشى ديان عندما بدأت المباحثات مع مصر .. لقد صرح بأن شرم الشيخ أفضل لاسرائيل من السلام ، أى أن الاحتفاظ بשרم الشيخ بدون سلام أفضل من سلام بدون شرم الشيخ .. كما صرح بيجين بأنه لا يمكن التخلي عن المستوطنات فى سيناء ، والآن أين شرم الشيخ وأين المستوطنات فى سيناء .. هذا جانب .. والجانب الآخر ان اتفاقية اعلان المبادئ وقعت يوم ١٣ سبتمبر فى واشنطن ووقع فى نفس اليوم الاعتراف المتبادل بين

اسرائيل والمنظمة ولو أن انسانا سأل الرأي العام الاسرائيلي ، وسأل الحكومة الاسرائيلية قبل توقيع الاتفاق بيوم واحد.. هل يمكن ان يتم اعتراف متبادل مع المنظمة .. لكان قد حدث انفجار واستنكار شديدان .. فقد كانت فكرة الاعتراف المتبادل مرفوضة تماماً.. فضلاً عن التحدث مع المنظمة .. صحيح أن هناك أغلبية تنادى بعدم الانسحاب من الجولان ، وهناك أيضاً أعضاء في الكنيست من حزب العمل ينادون بعدم الانسحاب .. لذلك لا بد أن يقتنع الرأي العام الاسرائيلي بجدية سوريا في السلام .. لأن الرأي العام له أهمية كبيرة في اسرائيل ..

والرئيس السادات كان بعيد النظر عندما تمكن من اقناع الشعب الاسرائيلي بالسلام قبل توقيع الاتفاقية وقبل أن يقنع الحكومة الاسرائيلية .. حتى أنه عند التصويت على الاتفاقية كان تأييد المعارضة أكثر من الحكومة.. وهذا هو الذي ساعد الليكود .. على التوصل لاتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية ..

فالرأي العام الاسرائيلي اذا وضعت امامه خطة كاملة تجيب على استفساراته التي تتمثل في : ماذا تعنى سوريا بالسلام الكامل وما هي الترتيبات الأمنية التي تكفل الحماية للمواطن الاسرائيلي عند اعادة الجولان لسوريا .. فان الاغلبية التي تعارض الاتفاق مع سوريا والانسحاب من الجولان سوف تصبح اغلبية أيضاً ولكنها مؤيدة للانسحاب منها

والآن وبعد ان راهنت الأطراف المعنية على أن مشكلة عودة الجولان تمثل العقبة الكبرى في طريق السلام فإن الأحداث التي شهدتها الشهور الأخيرة قد دفعت بالقضية إلى آفاق أرحب خاصة أن وساطات مكثفة يقوم بها



* هكذا رأيت اسرائيل *

الرئيس حسنى مبارك من ناحية لتقريب وجهات النظر بين سوريا واسرائيل
لايجاد حل يرضى الطرفين ، ويحقق السلام الشامل بالمنطقة ..

كما أن جهوداً مماثلة تبذلها أمريكا من خلال وزير خارجيتها كريستوفر
بدت معها ملامح اتفاق سوف تشهده الشهور القليلة القادمة .

من ناحية أخرى فإن حكومة ائتلاف العمل برئاسة رابين تسعى بكل دأء
لانهاء مشكلة الجولان حتى ترتفع أرضيتها فى الشارع الاسرائيلى قبي
الانتخابات القادمة حيث أن تحقيق السلام الشامل مع كافة الأطراف العرب
سوف يدعم ولاشك هذا الائتلاف الحاكم فى اسرائيل فى مواجهة حزم
الليكود المتشدد والذى ينتظر كبوة فى المباحثات.

من ناحية أخرى فإن بعض المراقبين يرى أن اتفاق غزة أريحا وكذلك
الاتفاق الاردنى الاسرائيلى قد أضعف الموقف السورى على الرغم مما يبدو
من تماسك.. فقد فقدت سوريا بهذين الاتفاقين أوراقاً كان يمكن أن تلعب به
فى تفاوضها مع اسرائيل .

ويبقى أن الأسابيع والشهور القادمة ستشهد تركيزاً كبيراً على الجولان
تلك البقعة الغالية من أرضنا العربية ، والتى ما تزال اسرائيل تناور هم
إعادتها إلى ابنائها ..



٦

مكنا رأيت اسرائيل

* الاستيطان من أهم
دعائم المشروع
الصهيوني .

هل يغرق السلام
فى
بحر المستوطنات؟

* المستوطنات فشلت
على المستوى
الانسانى .

* كيف سيحل بيريز
المشكلة التى ساهم
بنفسه فى تضخيمها .

«السلام.. كاد أن يغرق فى بحر المستوطنات»

هذه العبارة قالها رئيس دولة اسرائيل عايزرا وايزمان خلال لقائى الطويل معه عندما سألته عن أصعب مراحل المفاوضات أثناء اتفاقية السلام مع مصر .. قال وايزمان : « إن هذه القضية كانت واحدة من أهم نقاط الخلاف التى قلبت الموازين على رأس اسرائيل..

فالولايات المتحدة استنكرت بشدة بناء مستوطنات جديدة .. بل إنهم وصفوا هذا المنهج بأنه منهج حقير وخدعة مكشوفة.. تحاول بها اسرائيل خداع الولايات المتحدة .. حتى الصحافة الأمريكية راحت هى الأخرى تهاجم بناء المستوطنات بأيعاز من البيت الأبيض .. ثم موقف الغرب كله .. كان أيضاً ضد بناء المستوطنات..»



كل هذا جعل السادات يكسب مزيداً من تأييد الرأي العام العالمى .. وفى وسط هذه الأجواء بدأ الاستعداد لاجتماع اللجنة العسكرية فى القاهرة واللجنة السياسية بالقدس .. وبدأ أن اسرائيل سائرة إلى حتفها ، فقد توالى ربود فعل اسرائيل تشير إلى احتمال سحب اعلانها بالاستعداد للانسحاب من سيناء .

والحقيقة أن الأمريكين وكارتر نفسه طلبوا من اسرائيل التوقف فوراً عن بناء هذه المستوطنات باعتبارها أكبر عقبة تقف فى طريق التوصل إلى أى حل.. لكن بيجين رفض بشدة لزيادة احتمالات الفشل .. ويزيد خوفنا وكأبتنا ..»

«وكانت هذه القضية تحديداً السبب فى فشل اللقاءات الثلاثة الأولى بين كارتر وبيجين والسادات ووصل الأمر لدرجة أن كلا من بيجين والسادات لم يكونا على استعداد لتقبل ملاحظات «الأخر» .. وهو السبب الذى دعا كارتر لاقتراح عقد لقاءات ثلاثية على أن يجتمع هو بكل رئيس على حدة ،، وقتها أعلنت رأى بصراحة وقلت لبيجين إن الدنيا لن تنتهى ولن تقوم القيامة لو أوقفنا بناء المستوطنات ، ولكن الدنيا يمكن أن تنتهى فعلاً وتقوم القيامة فيما لو فشلت المفاوضات ..»

وأضاف وايزمان : إنه ومنذ شتاء ١٩٧٨م أصبح موضوع المستوطنات بالفعل هو قضية الخلاف الرئيسية التى تهدد السلام حيث أصبحت هذه المستوطنات بمثابة عائق كبير فى كل مباحثات جرت بين مصر واسرائيل أو فى واشنطن..

وأصبحت صورتنا غاية فى السوء .. فالعالم يتابع من خلال شاشات التلفزيون صورة اسرائيل التى تسعى بكل جهدها لتخريب جهود السلام .. فى الوقت الذى تزايد فيه حماس الرأى العام العالمى بأن السادات هو البطل الاسطورى الذى يبحث عن السلام ..

وراحت الأقمار الصناعية تنقل للعالم صوراً تفصيلية عن المستوطنات الاسرائيلية والتى اشتد الهجوم عليها لدرجة أن الرئيس كارتر شخصياً راح يقود هذا الهجوم ويصف المستوطنات بأنها غير شرعية .. وحتى أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى والذين كانوا يؤيدون اسرائيل راحوا هم أيضاً يتساءلون عن أهمية هذه المستوطنات بالنسبة لنا ..

وباختصار أصبحنا فى أسوأ موقف بسبب هذه المستوطنات لدرجة أن كثيرين وصفونا بأننا «حقراء» «مخادعون» و «اعتبرونا أحفاد شيلوك اليهودى»^{١٩}، وهكذا كادت المستوطنات تنسف عملية السلام مع مصر ...

ويعود وايزمان بذاكرته عن تفاصيل بعض الأحداث التى فجرتها قضية المستوطنات أثناء المباحثات مع مصر فيقول :

« فى الواقع كان يؤمنى كثيراً أن العالم كله يقف ضدنا ولهذا السبب كانت تصريحاتي المختلفة والتى أغضبت زملائي من أعضاء الحكومة وجعلتهم يهاجموني .. ولم التفت الى هذا الهجوم .. وإنما كل الذى كان يهمنى أن السلام يوشك أن يغرق فى بحر المستوطنات .. وكما ذكرت فإن الصورة فى واشنطن أصبحت قاتمة الى حد كبير خاصة أن بيجين لم يكن علي وفاق مع كارتر .. وفعل الشئ الذى بدا خاطئاً بكل المقاييس .. فقد أعلن ان اسرائيل لم تعد فى



حاجة لتنسيق استراتيجي مع البيت الأبيض .. الأمر الذي أغضب كارتر بشدة خاصة ان السادات كان علي وفاق معه.. والحقيقة ان اسرائيل - في تصوري - لم تنجح في تجنيد القوي السياسية ليهود امريكا لأجل تحقيق أهداف لا يؤمنون بها أساساً ..

وكنت أبحث عن وسيلة للخروج من هذا المأزق.. وجاءت الفرصة عندما طلب مني السادات الحضور للقاءه .. وأسعدني كثيراً عودة المباحثات .. وتجدد الأمل في تحقيق السلام .. وأخبرت بيجين بدعوة السادات للقائي فغضب بشدة.. وكان فيما يبدو متأثراً بالحملة الشرسة التي راحت الجرائد المصرية تشنها عليه..

وأعرب بيجين عن غضبه أمام الوزراء عندما قال: ماذا أفعل.. يبدو أنني لا أعجب السادات.. وايزمان فقط هو الذي يعجبه.. لكنه في النهاية وافق علي الدعوة ولا أظنه كان يستطيع أن يرفض .. وسألت المجتمعين عما أقوله للسادات.. فرد بيجين بسرعة قائلاً: قل له أنه لا يوجد حزب واحد في اسرائيل يوافق علي إخلاء المستوطنات» .

وعاد التاريخ يعيد نفسه ، وعادت مشكلة المستوطنات والمستوطنين تشكل حجر عثرة في طريق تنفيذ الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي .. حقيقة أنها ليست الحجر الوحيد الذي يعرقل خطوات التنفيذ ، ولكنها من أضخم الاحجار الموجودة في هذا الطريق..

وخلال رحلة «التحدى مع النفس» كان لابد أن تشغل قضية المستوطنات والمستوطنين جانباً كبيراً منها .. فهي قضية حيوية بالنسبة لكلا الطرفين



«الاسرائيلي والفلسطيني» وهى تمثل بالتالى مشكلة وعقبة أساسية فى طريق السلام لذا لا بد من الوصول الى حل لها ..

ولكن .. أين هو هذا الحل ؟ .. والاستيطان الاسرائيلي يعتبر من أهم دعائم المشروع الصهيونى الخاص بإقامة دولة اسرائيل والذي اعتمد في بدايته على ركيزتين أساسيتين هما : الهجرة والاستيطان ؟ ..

ولا زالت هاتان الركيزتان قائمتين وراسختين فى الفكر الاسرائيلي حتى الان .. ففى حوارى مع الياهو بن اليسار عضو الكنيست عن حزب الليكود قال. « إن دولة اسرائيل نشأت لاستيعاب ابنائها من جميع أنحاء العالم .. وعندما تأسست اسرائيل كان عدد اليهود فى هذه الديار ٦٥٠ ألف نسمة .. الآن العدد وصل الى ٤ ملايين و ٣٠٠ ألف نسمة .. فى الوقت الذى يبلغ فيه عدد اليهود فى العالم حوالى ١٢ أو ١٣ مليوناً .. هناك مجال فى اسرائيل لجميع اليهود فى العالم .. بغض النظر عن مساحة اسرائيل .. ففى مصر مثلاً ٦٠ مليون نسمة يعيشون على امتداد نهر النيل والدلتا فى مساحة لا تتجاوز ٢٦ ألف كيلو متر مربع .. من قال أنه ليس هناك صلة بين المساحة وعدد السكان ..

* * *

منذ قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ م والهجرة اليهودية تمثل إحدى الدعائم الأساسية فى المشروع الصهيونى الذى يهدف إلى إقامة اسرائيل كدولة يهودية تسعى إلى جمع شمل يهود الشتات بين أرجائها ولقد أبدى بن جوريون اهتمامه بهذا الجانب واحتل عنده المرتبة الثانية بعد الأمن وقبل الاستقلال الاقتصادى لاسرائيل .. لقد فرضت الهجرة اليهودية نفسها على بساط الهجرة



* هكذا رأت اسرائيل *

فى اسرائيل وكذلك فى الأوساط الصهيونية العالمية حيث ناشدت اسرائيل منذ قيامها كل دول العالم بفتح باب الهجرة أمام اليهود فى شتى أنحاء العالم ، ولما كان من الصعب عليها استيعاب الأعداد المعلن عنها من المهاجرين داخل حدودها امتد بصرها تجاه المناطق العربية المحتلة لتوطين معظم القادمين اليها فى محاولة لفرض سياسة الأمر الواقع قبل مواجهتها بالدول العربية والوفد الفلسطينى فى مؤتمر السلام الذى بدأ فى مدريد لحل مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى .

حيث ركزت اسرائيل جهودها لاستقطاب اليهود السوفييت اليها ، ولكن منذ الهجرة اليهودية الكبرى من الاتحاد السوفيتى السابق فى عام ١٩٨٨م وحتى سبتمبر ١٩٨٩م لم يصل الى اسرائيل سوى عدد قليل من اليهود بسبب توجه أغلبية المهاجرين من اليهود السوفيت إلى الولايات المتحدة ، وبعض الدول الأوروبية خاصة أن الولايات المتحدة كانت قد منحت اليهود السوفييت صفة لاجئ سياسى فى هذه الفترة كطلب المنظمات اليهودية الأمريكية ثم عادت هذه المنظمات وطالبت الادارة الامريكية بفرض القيود أمام هؤلاء المهاجرين تلبية لرغبة اسرائيل فى تحويل وجهتهم اليها .

وبالتالى نجحت اسرائيل فى غلق جميع الأبواب فى وجه المهاجرين من اليهود السوفييت واجبرتهم على التوجه اليها ، وتفادياً لردود الفعل العربية المتوقعة سارعت السلطات الصهيونية منذ مارس ١٩٩٠م الى اتخاذ عدة خطوات من بينها اعتبار أن المعلومات التى تتعلق بالمهاجرين السوفيت وعددهم هو سر من اسرار الدولة يحظر على وسائل الاعلام تداوله ومن هنا اصبحت

الارقام التي تنشر عن عدد المهاجرين لا تخرج عن كونها أرقاماً تقريبية مما ينفي القول بوجود احصائيات دقيقة عن عدد أولئك الذين وصلوا منها فعلاً الى اسرائيل ..

وان كانت الارقام التي نشرتها الوكالة اليهودية تشير إلى أن عدد المهاجرين من اليهود السوفيت الذين وصلوا الى اسرائيل خلال عام ١٩٩٠م لم يتجاوز ٢٠٠ ألف مهاجر الى جانب ٨٧ ألف مهاجر وصلوا الى اسرائيل خلال ١٩٩١م وذلك من بداية العام الى آخر مايو من العام نفسه بما فيهم الفلاشا .. هذا في الوقت الذي افادت فيه المصادر الاسرائيلية أن هناك ٤٠٨ و ١٥٨ و ٢٠ ألف مهاجر وصلوا الى اسرائيل منذ قيامها حتى الآن ..

* * *

لم تغفل اسرائيل في غمرة اهتمامها باليهود السوفيت عن بقية اليهود في شتى انحاء العالم .. حيث تمكنت في عام ١٩٨٤م تحت ستار الرقابة العسكرية بمساندة الولايات المتحدة الامريكية في تهجير ١٢ ألف يهودي اثيوبي من الفلاشا في عملية أطلق عليها «عملية موسى» .. وعادت اسرائيل محاولتها لتهجير ما تبقى من اليهود الفلاشا في إطار عودة العلاقات بينها وبين اثيوبيا فنجحت في تهجير ٢٥٠٠ يهودي اثيوبي اليها خلال ١٩٩٠م ..

وعلى أثر الخلافات التي نشبت بين اسرائيل واثيوبيا في عام ١٩٩١م لاتهام اسرائيل بأنها لم تف بتعهداتها تجاه اثيوبيا فيما اتفقا عليه من مساعدات عسكرية تدخلت الولايات المتحدة ، وارسل الرئيس الامريكي السابق مبعوثاً خاصاً على رأس وفد من الخارجية الامريكية الى اثيوبيا لتذليل



* هكذا رايت اسرائيل *

العقبات وإعادة ترتيب عملية نقل الفلاشا ، ونجحت المساعي وتم تهجير ١٧ ألف يهودى على متن طائرات اسرائيلية وأثيوبية فى عملية اطلق عليها اسم (عملية سليمان) وعملت اسرائيل عن طريق الولايات المتحدة ايضا على تهجير آخر ما تبقى من الفلاشا حيث يقدر عددهم ما بين ٥٠٠ الى ٢٠٠٠ مهاجر ولم تقتصر الجهود الاسرائيلية على الاتحاد السوفيتى السابق واثيوبيا فحسب بل ناشدت كل دول العالم فتح أبواب الهجرة أمام اليهود المقيمين فيها كما حدث فى مناشدة سوريا واليمن والعراق بالسماح لليهود المقيمين هناك بالهجرة الي اسرائيل كما نجحت الجهود السرية لتهجير يهود ألمانيا وبعض يهود بورما وبلغاريا والهند .

وهناك الآن حوالى ٣٠ ألف يهودى يعيشون فى الدول العربية مقسمون كالآتى: ١٣ ألف فى تونس ، ٩ آلاف فى المغرب ، ٤ آلاف فى سوريا ، ٣٠٠ فى العراق ، ٣٠٠ فى الجزائر ، ١٠ فى البحرين ، ٥ فى ليبيا ، ١٧٨ فى مصر ، ٦ فى لبنان ، ٢٠٠٠ فى اليمن الشمالى والجنوبى .

هذا وكان ديفيد ليفى قد طلب من السناتور رودس بوشيفتس مبعوث الرئيس الامريكى السابق بوش للحكومة الاثيوبية تسهيل تهجير الفلاشا ، وطلب منه قيام الولايات المتحدة باتخاذ اجراءات فعالة لتهجير يهود سوريا واليمن ، أما العراق فافادت التقارير ان اسرائيل مارست ضغطها على الولايات المتحدة لمساعدتها فى تهجير اليهود الاكراد الذين يقطنون فى المنطقة الواقعة تحت السيطرة الامريكية على الحدود العراقية التركية ..

ويؤكد الواقع السياسى فى اسرائيل ان الجميع حكومة ومعارضة يعتقدون

أما كبرية على الهجرة والمهاجرين وان اختلفت رؤيتهم تجاه الاستيعاب..
فبينما كان شامير يرى ان الهجرة الكبرى تحتاج الي اسرائيل كبرى فإن بيريز
دعا الى رصد موارد كبرى لتتمة صحراء النقب والجليل وتشجيع الاستيطان
فى تلك المناطق لاستيعاب المهاجرين ..

وجدير بالذكر أن شيمون بيريز كان قد دعا فى عام ١٩٨٤م الي تجميد
المستوطنات والاستيطان فى المناطق المحتلة ، وكانت دعوة سياسية أكثر منها
أى شئ آخر ، فقد وصل عدد المستوطنين فى هذه الفترة التى تولى فيها بيريز
فى حكومة الوحدة الوطنية ، وحتى نهايتها فى ١٩٨٦م ، وصل عدد
المستوطنين حوالى ٦٠ ألف مستوطن مقابل ٤٢ ألف فى عام ١٩٨٤م.

وهنا السؤال يفرض نفسه : كيف سيحل السيد بيريز هذه المشكلة التى
ساهم بنفسه فى تضخيمها؟.. هذا إذا كان بيريز جاداً اصلاً فى حلها من أجل
السير قدماً على طريق السلام؟

* * *

بعد هذا السرد التاريخى الموجز لقضية المستوطنين والمستوطنات يمكن
القول أن نهج الاستيطان الذى اتبعته اسرائيل فى المناطق المحتلة قد ضاعف
عدد المستوطنين والمستوطنات .. هذه حقيقة .. ولكن الحقيقة الأهم والتى
لمستها بنفسى خلال رحلة «التحدى مع النفس» أنه إذا كانت حركة
الاستيطان الاسرائيلية قد نجحت من حيث أنشطة الاسكان والطرق والأمتار
الخرسانية المكعبة إلا أنها فشلت على المستوى الإنسانى ، فالمستوطنون لم
يكونوا رواد مد قومى من الهجرة بل على العكس من ذلك تضاعل المخزون



* هكذا رايت اسرائيل *

البشرى الذي اعتمدت الحركة على السحب منه وعدد قليل فقط من المستوطنين هم الذين يكسبون عيشهم في المدن التي يعيشون فيها على الرغم من واقعهم الايديولوجية ..

أما اولئك الذين يعملون حيث يعيشون فمعظمهم يعملون كموظفين عموميين تدعمهم الأموال العامة .. في الواقع تعتبر المدن في جانب كبير منها مجرد تجمعات للمبيت .. وهذا النشاط الاستيطاني يدعى مناصروه بكل فخر انه استمرار للجهود التاريخية الصهيونية متجاهلين حقيقة أن المنجزات الكبرى للاستيطان في الماضي كانت في تطوير القطاع الزراعي الذي وفر مصدراً للحياة ودرجة كبيرة من الاكتفاء الذاتي ، وقد تضاعف أيضاً الاستيطان غير المدفوع بالايديولوجية على أطراف الضفة الغربية وهو الاستيطان الذي يشكل خواصاً خلفية لمدن السهل الساحلي وتباطأت عملية الاستحواذ على الاراضي في أعقاب الكشف عن العديد من الصفقات غير القانونية ..

ان الوضع الذي شاهدته بعيني ولمسته خلال رحلة التحدى مع النفس ، ومعايشتي لكل جوانب المشكلة فوق أرض الواقع ينبأ أن المائة والعشرين ألف اسرائيلي والاربع والاربعين مستوطنة بقطاع غزة والضفة الغربية تعيش على صفيح ساخن وهي تنتظر يوم الانتخابات وانهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء الشروع في الانتماء - على حد تعبير أحد سكان المستوطنات - فهم يستعدون لهذا اليوم المرتقب .

فماذا يمكن أن يحدث عندما يأتي هذا اليوم المرتقب !!؟؟ ..

وكيف ينظر الاسرائيليون والفلسطينيون الى هذه المشكلة .. مشكلة



المستوطنات والمستوطنين ؟ وما وجهة نظرهم فى إمكانية إيجاد حل يمنع ما يمكن أن يحدث فى هذا اليوم المرتقب ؟..

لطيف دورى - سكرتير لجنة الحوار الاسرائيلى الفلسطينى - عندما سألتته تقديره لحل مشكلة المستوطنات ، وكيف سيترك المستوطنون مستوطناتهم قال :

«أنا منذ اليوم الأول من الاحتلال عام ١٩٦٧م كنا ضد إقامة المستوطنات فى المناطق المختلفة فقد رأينا فيها حجر عثرة أمام إمكانية تحقيق السلام ، وهذا ما ثبت خلال عدة سنوات .. إن الاستيطان وما صرف عليه من عشرات المليارات من الدولارات كان على حساب الشعب الاسرائيلى وعلى حساب المجتمع الاسرائيلى واصبح عقبة فى طريق الحل لان المستوطنات كثيرة، ولو كانت قليلة لسهلت الحل .. وبدون إزالة هذه العقبة ما حدث سلام مع مصر، ومن هنا يجب الوصول الى حل بموجبه يمكن إعادة المستوطنات الى الشعب الفلسطينى وحل مشاكل المستوطنين ».

«والاحصائيات تقول أن ٨٠ ٪ من المستوطنين على استعداد لترك المستوطنات والعودة داخل اسرائيل .. إذن الذين يسببون مشكلة هم ٢٠٪ من المتعصبين والمتطرفين الذين لا يريدون ترك المستوطنات .. وأمام هؤلاء المستوطنين إما أن يكونوا على استعداد للعيش فى هذه المستوطنات تحت السيادة الفلسطينية ، أو أن تقوم الحكومة الاسرائيلية باتخاذ الاجراءات اللازمة لخراجهم من المستوطنات

فهل تستطيع الحكومة الاسرائيلية اخراجهم فعلاً ؟..

سؤال كبير يطرح نفسه وتظل الاجابة عنه معلقة ..

أما الجنرال العسكري «ابراهيم تامير» الذى يشغل الآن موقع رئيس اللجنة الادارية لمركز الابحاث السياسية وهو من انصار السلام ويتمتع بقدر كبير من التفاؤل تجاه تحقيق السلام فقال :

« لقد كان رأيى دائماً أن المستوطنات عقبة على طريق السلام .. لأن الهدف من وراء اقامة هذه المستوطنات كان التأثير على الحدود وعدم تغييرها .. بمعنى أن سياسة الاستيطان كانت تعنى أن الليكود كان يريد أن يستوطن جميع الأراضى .. أما حزب العمل فكان يقوم ببناء المستوطنات وفقاً لخطة ألون...»

ورغم أن ياعيل ديان عضو الكنيست تعتبر من أقطاب سياسة السلام مع اسرائيل .. إلا أن كلامها معى عن المستوطنات والمستوطنين كان فيه بعض التحفظ والحذر .. فعندما قلت لها أن اسرائيل تتحدث عن السلام وفى نفس الوقت تواصل بناء المستوطنات.. قالت :

« أن هناك مبالغة كبيرة فى تناول أمر المستوطنات فلا توجد أية مستوطنة جديدة .. ومن الخطأ الاعتقاد بأن اضافة البناء فى القدس يحدث فى داخل الاحياء الاسلامية فى شرقى القدس ، والحقيقة أن ميزانية دولة اسرائيل لعام ٩٣ - ١٩٩٤م لا يوجد بها استثمار من هذه الانواع فى هذه المناطق...»

قلت لها : ولكن ماذا عن المستوطنات القائمة بالفعل فى مناطق عربية محتلة خاصة وانها تمثل عقبة فى طريق السلام .. قالت ياعيل ديان :

« لا شك أن المستوطنات تعرقل مسيرة السلام ، ولكن ليس من المعقول



أن نصل الى اتفاق بشأن هذه المسألة قبل الوصول الى اتفاق شامل ، وعلينا أن ندرك أن باستثناء المشاغبين والمتطرفين من المستوطنين فهناك اناس هذه هى بيوتهم يقيمون فيها طوال الخمس وعشرين سنة الماضية خاصة فى الجولان .. وفى مثل هذا الوضع لا يمكن أن نطلب منهم اليوم إخلاء المكان ونقل لهم إذا فشل الاتفاق ستعودون مرة ثانية .. إنه من الواضح أن الفترة الانتقالية ستعيد جانباً من الاسرائيليين الى خطوط عام ١٩٦٧م.. كما من الواضح أن السيادة الاسرائيلية سوف لا ترتبط فى الحل النهائى بمعظم المستوطنات»

وهكذا لم أصل مع كل الذين حاورتهم الى اجابة عن السؤال الكبير : أين الحل فى قضية المستوطنات التى تعتبر من المشاكل الكبيرة والحادة فى طريق مسيرة السلام وعلى مختلف الجهات والمحاور ١٩ ..

وكان لزاماً أن أتعرف على وجهة النظر الرسمية من خلال أحد المسؤولين فى الحكومة الاسرائيلية .. عندما طرحت هذه المشكلة خلال حوارى مع يوسى بيلين - نائب وزير الخارجية - تصورت أنه سيضع بعض النقاط فوق هذه الحروف الحائرة !!

فى البداية قال لى : « استطيع أنؤكد .. أنه فى اطار الحل النهائى ، وعندما نصل اليه فسوف ننسحب من معظم الأراضى فى غزة والضفة الغربية .. إن المستوطنات ستكون تحت الحكم السياسى الذى سيقام .. تماماً كما أن هناك مليون عربى تحت الحكم اليهودى .. فلا مانع إذن من أن يكون ١٣٠ ألف يهودى تحت الحكم الفلسطينى العربى» ..



وهكذا سيبقى الوضع على ما هو عليه ، وعلى المتضرر أن ينتظر هذا اليوم
المرتقب سياسياً وعسكرياً ..
فماذا يمكن أن يحدث عند قدوم هذا اليوم ؟!!
هذا هو السؤال !!؟ ..



مخبر رأيت اسرائيل

* اتفاق غزة - أريحا ..
هل كان سيناريو
متفق عليه ؟!

* الاسرائيليون يتساءلون :
لماذا التطبيع المصري
الاسرائيلي - بارد ؟!

* اسرائيل الكبرى حلم
لم يعد قابلاً للتحقيق.

* ديمقراطية اسرائيل : قل
ما تشاء ما دمت أفعل
ما أريد !

♦♦ التطبيع
إلى أين ؟♦

سؤال كبير يطرح نفسه على الساحة العربية
بالإحاح.. ترى هل حدث كل هذا الذي حدث فجأة وبدون
مقدمات من مباحثات «أوسلو» وما أعقبها من اتفاق
«غزة - أريحا» .. هل كان ذلك كله صدفة؟! ..

اتفاقية السلام بين الأردن وإسرائيل هل حدثت
فجأة وبدون مقدمات هي الأخرى؟! أم إن كل ما حدث
وما يحدث بل ما سيحدث أيضاً هو مجرد
سيناريوهات أعدت مشاهدتها وأدق تفاصيلها في
دهاليز وكواليس المطبخ السياسي الأمريكي؟! ..

إن الكثيرين يراهنون أن اتفاقاً سورياً -
إسرائيلياً سيتم توقيعه عن قريب ، وعندما توقع
سوريا مثل هذا الاتفاق مع إسرائيل لتسترد من خلاله
(الجولان) فإن مشاكل الحدود اللبنانية الإسرائيلية
سوف تختفي تماماً .. كما يرى هذا الفريق أن
إسرائيل تحارب سوريا على الأراضي اللبنانية ..



ويتساءل أنصار هذا الرأي ثم ماذا بعد ذلك؟ ما هي الخطوات التالية؟ وما هو مستقبل المنطقة بعد أن تتسع دائرة اتفاقيات السلام بين إسرائيل وجيرانها خاصة بعد الأخبار التي ترصد غزلاً عراقياً - إسرائيلياً تجري تفاصيله في سرية تامة ، وإن تسلت بعض الأخبار والخبائيا .. فالعراق الذي يعاني العزلة السياسية والاقتصادية - عربياً ودولياً يشعر شعبه بقيادته بإحباطات كبيرة .. وبالمناسبة فقد سمعت أثناء زيارتي الى إسرائيل الكثير من الجدل حول صواريخ سكود التي أطلقتها العراق أبان غزوها الغاشم للكويت - تلك الصواريخ التي أكد لى العديد من الاسرائيلين أن بعضها كان محشوا بالحجارة والغريب أن معظم تلك الصواريخ أسقطت على قرى يسكنها يهود عراقيون !! ..

وإن إسرائيل استفادت أيما استفادة من سقوط هذه الصواريخ عليها والتي لم تصب شخصاً وإن هدمت بعض المنازل التي تلقت إسرائيل على أثرها تعويضات أمريكية تفوق بكثير الخسائر المحدودة جداً من جراء قصف هذه الصواريخ (الفشك) .. وللانصاف أقول أنه عند حديثي مع العديد من عرب فلسطين في القدس والضفة والقطاع قالوا أنه عند بداية سقوط طلائع صواريخ العراق انتابهم شعور بالفخر ، والنشوة فقد كانت المرة الأولى التي يرون فيها السلاح العربي يوجه الى داخل العمق الاسرائيلي .. ومع مرور الوقت تبدلت مشاعر الفخر الي مشاعر (القهر) عندما اكتشفوا تواضع مستوى هذه الصواريخ عندما انحرفت عن اهدافها وسقطت بعيداً عنهم دون انفجارات مؤثرة تذكر اضافة الى تسليح بعضها (بالحجارة) ..

ويتندر البعض ساخراً .. لعل صدام قد أدرك أن أطفال الحجارة قد استهلكوا في ثورتهم ضد اسرائيل (الانتفاضة) كميات كبيرة من حجارة الأرض المحتلة فأراد أن يرسل لهم هذه الصواريخ المحملة بالحجارة ليواصلوا نضالهم .. وينظر فريق آخر من الاسرائيليين الى القذف الصاروخي العراقي لاسرائيل من منطلق ضرورة اعادة النظر في كل ما يتعلق بنظريات الأمن الاسرائيلي وأهمية الأرض والحدود في تحقيق (الأمن) على ضوء اختراق هذه الصواريخ مساحات كبيرة من الأراضي الاسرائيلية الى الاماكن التي سقطت فيها .. مهما يكن من تفسيرات هذا الفريق أو ذاك عن الموقف العراقي تجاه اسرائيل فإن معلومات شبه مؤكدة تتحدث عن قرب تطبيع علاقات عراقية اسرائيلية..

* * *

ونمضي مع القضايا الجدلية التي أفرزتها اتفاقيات السلام العربية الاسرائيلية وما تضمنه من اعترافات متبادلة بين اطرافها لتتوقف عند قضية « السوق الشرق أوسطية » .. تلك القضية التي تختلف مواقف أطرافها كل حسب مصالحه وأهدافه .. فاسرائيل تسعى بدأب لقيام هذه السوق حيث حاجتها الشديدة لتحقيق تبادل تجارى بينها وبين جيرانها بل والمنطقة العربية بأسرها حيث الأسواق المتزامية والقوى الاستهلاكية الكبيرة لمنتجات تسعى اسرائيل لترويجها ، ومن ثم فهي لا تدخر جهداً في سبيل الاختراق الاقتصادي لدول المنطقة ، والذي بدأ بالفعل تجاه دول الجوار عبر صيغ وأساليب معقدة وأحياناً من خلال أطراف وسيطة – دول ومؤسسات ..



* هكذا رايت اسرائيل *

إن العزلة الاقتصادية التي تفرضها الدول العربية على إسرائيل تجعلها في وضع اقتصادي حرج والافتتاح الاقتصادي العلني على المنطقة العربية سيحدث انتعاشاً كبيراً للصادرات الإسرائيلية ومن ثم انفراداً اقتصادياً تظل إسرائيل في أمس الحاجة لتحقيقه.

ومن ناحية فإن عددا لا محدوداً من الدول العربية ينظر في حذر شديد لهذه السوق خشية الاختراق الإسرائيلي للأسواق العربية والذي سيحدث ولاشك تأثيراً سلبياً على المنتجات العربية ، ومن هنا تسعى هذه الدول لتأجيل فكرة إقامة السوق الشرق أوسطية خاصة إن بعض المنتجات الإسرائيلية تتميز بتطور نسبي في مجال تصنيع الإلكترونيات والآلات الزراعية وغيرها .. ويضاعف من خطر قيام هذه السوق حالة (التشرذم) التي تعيشها الأقطار العربية ، والتي تغيب معها احتمالات قيام تكامل اقتصادي عربي أو تحقيق حلم قيام سوق عربية مشتركة أو ما يشبه ذلك من تكتلات اقتصادية عربية حقيقية في إطار نظام دولي جديد لا مكان فيه للكيانات الهزيلة ..

وفي إسرائيل استمعت الى العديد من الآراء حول السوق الشرق أوسطية.. الى افيك - موظفة بالادارة العربية بوزارة الخارجية الاسرائيلية- سألتني رأيي في هذا السوق .. قلت أنا أراها سابقة جداً لأوانها وأنه لابد أن يسبقها (سوق عربية مشتركة) هذا هو الأمر الطبيعي الذي تقرره حقائق التاريخ والجغرافيا بل والاقتصاد أيضاً .. فنحن العرب لدينا موارد كبيرة جداً ولا نقصنا سوى التنسيق فيما بيننا وهو أمر سيفرضه علينا حتماً الواقع في المستقبل القريب .. أما التعاون الاقتصادي العربي الإسرائيلي فلا يزال أمامه



وقت طويل .. طويل جداً .

ردت ايلى بغضب وحده : « ولماذا لا يكون الآن .. الآن وليس غداً ..
وأردفت قائلة : اسمح لى أن أقول لك أنك متعصب .. فإذا كنت بالأمس تكره
اسرائيل بحجة حروبها مع العرب فماذا تقول اليوم فى ظل السلام المقبل
والمعاش بيننا وبينكم ..»

قلت بهدوء : «دعنى أصارك فأنا بالفعل لم أحب اسرائيل يوماً ما ..
لكن ذلك ليس سبب ما أطرحه من أراء حول عدم ملائمة قيام سوق شرق
أوسطية فى الوقت الحالى .. أننى اتفهم دوافعكم فى سرعة قيام التطبيع
الاقتصادى مع الدول العربية وأعرف أيضاً أن بعض البضائع تتسرب الى
الأسواق العربية لكنها تأتى عبر وسطاء ليسوا اسرائيليين - شركات من دول
مختلفة - وحتى يسمح لهذه السلع أن تدخل الأقطار العربية فلا بد من تغيير
اسم بلد الصنع ، وهذا أكبر دليل على رفض المستهلك العربى لاسرائيل من
خلال منتجاتها .. أنا لا أنكر أن قليلاً من السلع الاسرائيلية تباع فى الأسواق
العربية، ومنها مصر ولبنان، ولكن معظمها يدخل فى الظلام أحياناً، انه
الحاجز النفسى الكبير الذى خلفته صراعات سنوات طويلة وبحور من الدم
وآلاف من الضحايا ..»

* * *

فى جامعة حيفا وجدت نفسى محاطاً بعدد من أساتذة قسم الدراسات
العربية الذين دعونى على الغذاء الذى أعدته إحدى السيدات المغربيات اللاتى
هاجرن الى اسرائيل .. أخذت السيدة أثناء اعداد المائدة تسألنى عن مصر

فى شغف وفضول ، والحق أقول فقد كانت هذه السيدة ودودة للغاية ..
وأثناء تناول الطعام فتحت العديد من المناقشات حول السلام المصرى
الاسرائيلى ومستقبل التطبيع وأغذ البعض يسألنى عن رأى فى اتفاقية غزة
- أريحا ، ومستقبل السلام فى المنطقة ..

ومن جانبى رحت أعدد مخاوفى وتحفظاتى من أن تتراجع اسرائيل فى
وعودها أو أن تنجح فى تفسيرات بنود الاتفاقيات التى توقعها ، وكنت أقرأ
الدهشة فى العيون من حولى .. قال أحدهم : من قال ان اسرائيل هى التى
تخلف الوعود والمعاهدات .. إننى اضرب لك مثلاً بما يحدث فى معاهدة
السلام المصرية الاسرائيلية .. لقد انسحبنا فى الوقت المحدد من كل سيناء
وحتى عندما وقعت مشكلة طابا امتثلنا للتحكيم الدولى وتركنا طابا .. وعلى
مر السنوات التى أعقبت الانسحاب الاسرائيلى من سيناء لم نسمع عن مشكلة
حدودية بل على العكس فإن العلاقات المصرية الاسرائيلية على الصعيد
الرسمى والدبلوماسى تشهد تقدماً مضطرباً ، وهب أستاذ آخر يسألنى :

ماهو تفسيرك لقلّة الاعداد التى تأتى الى اسرائيل من المصريين فى
الوقت الذى تشهد فيه حركة السياحة الاسرائيلية الوافدة الى مصر ازدياداً
مستمراً .. بصراحة لماذا يبدو التطبيع المصرى الاسرائيلى بارداً ؟

وقبل أن أجيب اقترب منى رجل فى العقد الخامس من عمره وعرفنى
بنفسه على أنه مندوب الاذاعة الاسرائيلية فى حيفا وسألنى : هل لديك مانع
أن أنقل اجابتك عبر برنامج خاص يتحاور مع زوار اسرائيل؟ .. قلت ولم لا
ولكن هل تستطيع أن تذيع ما سأقوله دون حذف أو مونتاج ؟ قال طبعاً فنحن

فى اسرائيل لدينا ديمقراطية مساحتها تتسع لكل الآراء .. وهنا أعاد طرح السؤال من جديد: لماذا يبدو التطبيع المصرى الاسرائيلى .. بارداً ؟..

قلت : «أننى اتعجب من حديثكم عن التطبيع .. أى تطبيع هذا الذى تتحدثون عنه وأراضى عربية تحتلونها وتمارسون على أصحابها أشنع أنواع الاضطهاد .. هل نسيتم أنكم تمتلكون الضفة الغربية والجولان وغيرها من الأراضى العربية؟.. أى تطبيع هذا الذى تتحدثون عنه والجنوب اللبناى يقذف كل يوم بوحشية؟.. إن الأرض العربية والإنسان العربى من المحيط الى الخليج كل لا يتجزء ، وكذلك فان المشاعر والوجدان العربى كل لا يتجزء .. لذلك فإننا فى مصر نتضامن مع كل أشقائنا العرب ونتأثر بما يصيبهم من قمع واحتلال وتككيل وهذا بالضبط ما تمارسه اسرائيل على أشقائنا الفلسطينيين فى الأرض المحتلة .»

كنت أتفحص الوجوه حولى وأحاول استقراء ردود الفعل لكلماتى .. لكننى عبثاً استطعت أن أرصد أى تأثير على تلك الوجوه التى اعتادت على ما يبدو أن تبتسم ، وفى كل الظروف .. عاد المذيع يسألنى من جديد : إذن كيف تنظر الى مستقبل التطبيع المصرى الاسرائيلى بمعنى آخر متى يصبح دافئاً؟.. قلت .» ربما عندما تجلو اسرائيل عن كل الأراضى العربية التى احتلتها بعد ١٩٦٧م وتفسح المجال لقيام دولة فلسطينية .. وربما أيضاً بعد أن تتخلى اسرائيل عن اضطهاد المواطنين العرب فى الأراضى المحتلة والتككيل بهم .. هكذا نرى أنه لا يزال هناك طريق طويل على اسرائيل أن تسير فيه .. ووقتها سيكون هناك حديث آخر..»



قلت الكثير فى هذا البرنامج وجلست فى اليوم التالى وفى الموعد المحدد استمع لحديثي من القسم العربى فى الاذاعة الاسرائيلية ، وكما كانت دهشتى أن الحديث أذيع كاملاً دون حذف حرف واحد !

وأذكر أثناء المناقشة التى دارت فى جامعة حيفا بينى وبين عدد من اساتذة الجامعة أن وجهت سؤالاً لكبيرهم قائلاً أرجو أن تفسر لى أسباب استمرار اسرائيل فى حروب دامية بينها وبين العرب طوال سنوات طويلة.. كانت دعواها خلالها أن تلك الحروب بهدف تحقيق الأمن لدولة اسرائيل .. ألا ترى معنى أنه رغم آلاف الضحايا لم يتحقق لاسرائيل هذا الأمن المزعوم؟.. بدأ الرجل وغيره من الاساتذة يتكلمون لكن أحداً منهم لم يستطع أن يقدم إجابة شافية عن هذا السؤال ..

ومن هذا الحوار الطويل خرجت بانطباع أن كثيراً من الاسرائيليين يشعرون الآن أن الحلم الصهيونى (اسرائيل الكبرى) لم يعد حلماً قابلاً للتحقق على المدى المنظور .. والبعض يصفه بأنه حلم أحمر كاد يتسبب فى تدمير اسرائيل نفسه ؟ ولاشك .. أن الانتفاضة وما خلفته من آثار لدى الاسرائيليين قد ساهمت فى وجود حالة التوتر الذى أصبح يسود النفس الاسرائيلية تماماً كما فعل نصر أكتوبر ١٩٧٣م بهم وإن اختلف حجم التأثير..

إن من يرصد حركة الحياة فى الشارع الاسرائيلى يجد جيلاً جديداً من شباب ولد على أرض اسرائيل .. شباب ينشغل فى مهمة تحقيق ذاته بالدرجة الأولى غير عابئ بما يدور حوله من أحداث .. شباب يتملكه القلق والتوتر والتخبط .. فالهم الاقتصادى يلح عليه ويطحنه والمخاوف الأمنية تزلزل

أعماقه.. أما جيل الآباء والأجداد فإن ذكريات الماضي وفقدان الأحباء فى الحروب المختلفة تضاعف لديه مشاعر القلق والتوتر .. ومن هنا فإن هؤلاء هؤلاء تواقون الي سلام يحسم مرارة الهاجس الامني الذي عاش طويلاً يضغط على المشاعر والأفئدة ، ولا يستطيع المراقب المنصف أن يعم هذه الصورة من الرغبة الجامحة عند كثير من الاسرائيليين للاندفاع الى السلام، ذلك أن هناك فصائل عديدة من الشعب الاسرائيلى لا تزال ترفع شعارات الحرب والاستيطان.. تلك الصيحات التى يسيطر عليها العنف ، ولعل ابرز هؤلاء هم سكان المستوطنات الذين شبوا على أفكار سوداء شكلت وجدانهم وخطوط تفكيرهم ومنطلقاتهم .. اضافة الى فئات أخرى تستفيد من جو الاستقرار الذي اقيمت اسرائيل وعاشت فى ظله ..

ومع تعدد التيارات والقوى السياسية داخل اسرائيل فإن الرهان الكبير على السلام يتمناه حزب العمل الحاكم .. هذا الرهان الذى يلقي صدى كبيراً فى الشارع الاسرائيلى ، وفى نفس الوقت فإنه يجد من يتربص به من أحزاب وقوى سياسية أخرى يأتى فى مقدمتها حزب الليكود القوى وبعض الأحزاب والتيارات ذات الأوزان المتباينة.. فمن المعروف أن الليكود ينتظر أى كبوة للسلام تعيده الى رئاسة الحكومة فى الانتخابات القادمة فى الوقت الذى يسعى فيه حزب العمل مع أحزاب الائتلاف الحاكم لتثبيت قواعده وتوسيع دائرة شعبيته ..

وأستطيع ان اقول من خلال لقاءات عديدة مع شخصيات اسرائيلية تشغل مواقع هامة وكذلك من خلال حوارات كثيرة مع شخصيات فلسطينية ذات



* هكذا رأيت اسرائيل *

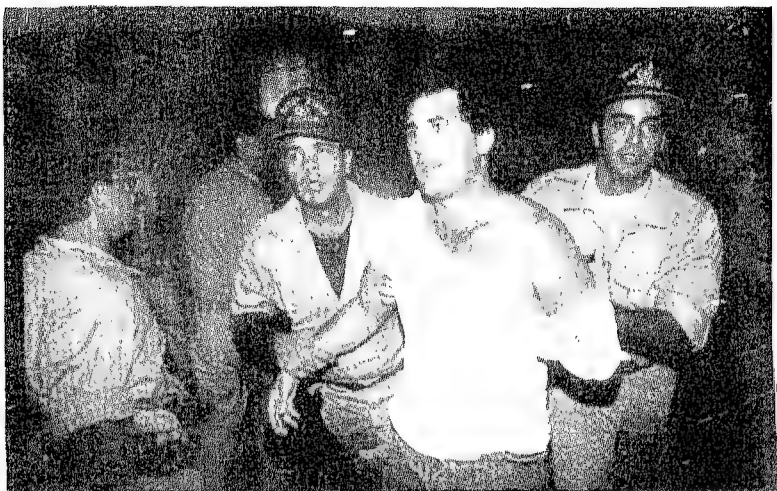
اتصال بالاوساط السياسية .. أن حزب العمل سيظل لسنوات طويلة قائمة
يحكم فى اسرائيل ..

وعلى الرغم من ارهاصات السلام الشامل بين العرب واسرائيل .. فإن
خطط اسرائيل لجلب مزيد من اليهود من الخارج .. وكذلك إقامة مزيد من
المستوطنات فى الاراضى العربية المحتلة مستمرة .. وبأشكال وأساليب مختلفة
رغم ما نسمعه من نداءات إيقافها .. فالديمقراطية فى اسرائيل من النوع الذى
يمكن أن ينطبق عليه مقولة : (قل ماتشاء مادمت أفعل ما أريد) ..

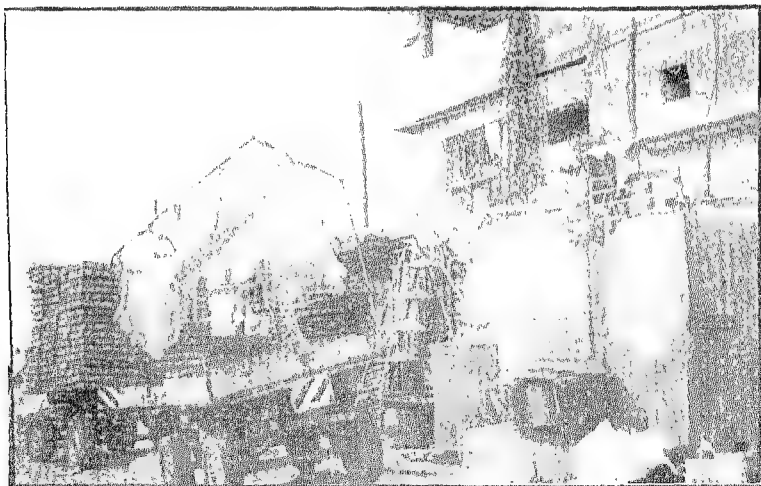
وبعد .. فإن كل ما استشعرته فى الشارع الاسرائيلى ، وما سمعته أثناء
حوارى مع العديد من المستويات التى التقيت بها اسرائيليين وفلسطينيين
يؤكد أن المنطقة مقبلة على سلام ، وأنه علينا أن نتعامل بحذر مع هذا السلام
القادم أو الذى بدأت بالفعل أولى خطواته ، فإن الواقع يؤكد أن ما حصل عليه
الفلسطينيون حتى الآن أبعد بكثير عن حقوقهم المشروعة .. كما أن النصوص
التي تضمنتها الاتفاقيات تحمل بين سطورها محاذيرا كثيرة .. لكن المنطق
يقول « إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة » ..



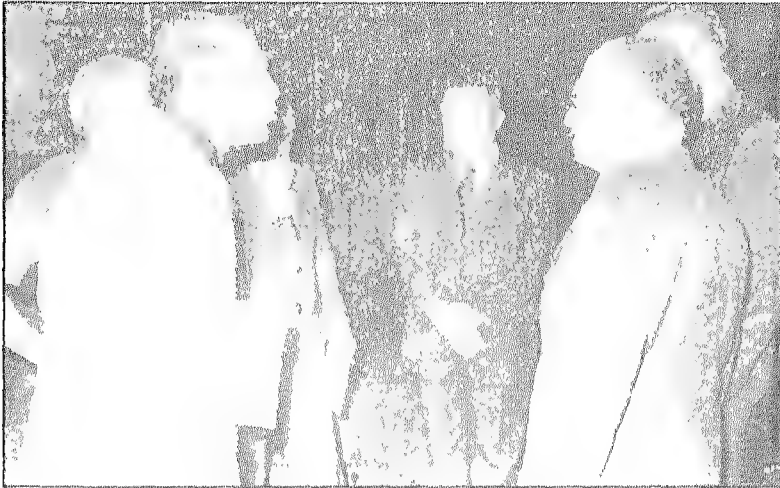
ملف الصور



في اسرائيل مجتمعاً يموج بالعنف



تدهور بيئي خطير بغزة



بسبب المستوطنات وصل الحلاف الي ذروته بين السادات وبيجين



وايزمان يشرح للمؤلف كيف تحول الصقور الي حمامم



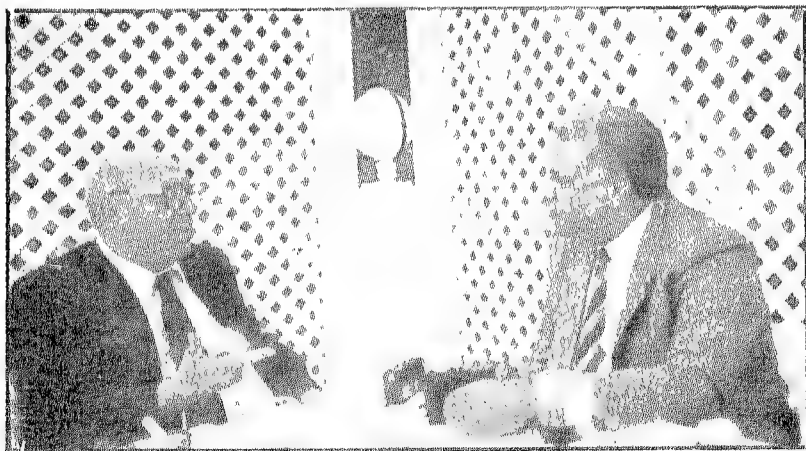
حتى الأطفال يحملون لافتات ضد إعادة الجولان لسوريا



كيف سيحل بيريز مشكلة المستوطنين



المؤلف أثناء حوارهِ مع أساتذة جامعة حيفا



يعقوب نمرودي المليونير الاسرائيلي الذي ارتبط اسمه بايران جيت -- الفلاشا -
هجرة اليهود السوفيت -- زيارة الوفد الليبي للقدس .. وغيرها

الفهرس

الصفحة	المحتويات
٣	✧ الاهداء
٥	✧ تقديم بقلم الأستاذ سعيد سبيل
١٣	✧ قبل أن نقرأ
٣٥	✧ الفصل الأول عوده إلى الجذور
٤٩	✧ الفصل الثاني السلام الحائر في عيون الصغور والحمائم
٧٥	✧ الفصل الثالث رحلة غوص في أعماق النفس الفلسطينية
٨٩	✧ الفصل الرابع المدينة العتيقة بين الهوية الفلسطينية والحلم الصهيوني
١٠٥	✧ الفصل الخامس فوق الجولان ما كنت أن الأسرائيليين منميزون في الخداع
١٢٥	✧ الفصل السادس هل يغرق السلام في بحر المستوطنات
١٤١	✧ الفصل السابع التطبيع إلى أين؟ ..
١٥٣	✧ ملحق الصور

رقم الإبداع : ٩٤/٨١١٧

I S B N

977- 08 - 0514 - 9

طبع بمطابع دار احبار اليوم

هذا الكتاب



لا بد أن الرئيس ياسر عرفات هو السبب !
فعندما رأيته يصافح رابين .. أدركت أننا نعيش لحظة
مختلفة .. لحظة تهب فيها رياح التغيير بكل قوة ..
وتتكسر فيها الحواجز وتتحطم القيود .. وهكذا اتخذت
قرارى بالسفر إلى اسرائيل .. كان فى الواقع أصعب
قرار اتخذته فى حياتى .. فبعد صراع طويل بين
الانسان داخلى وبين الصحفى .. انتصر الصحفى بكل
فضوله وكل رغبته فى أن يرى ويسمع ويفهم ..

ورغم أنى سافرت عشرات المرات إلى اسرائيل على الورق ومن
خلال كتب كثيرة قرأتها .. إلا أن هذه المرة تختلف تماماً فعندما هبطت
بى الطائرة فى تل أبيب .. احسست أن بابها يفتح على عالم مجهول
.. عالم ملئ بالأسرار والغموض .. ومن أول لحظة لم أضع لحظة ..
فالتقيت بالعشرات .. وزرت كل مكان استطعت أن أصل اليه ..
وهكذا التقيت برئيس الدولة وبالوزراء وأعضاء الكنيست، والمؤيدين
للسلام والمعارضين له .. بالحمائم والصقور .. كما التقيت
بالشخصيات العربية البارزة بالأراضى المحتلة .. زرت القدس
والضفة الغربية .. صعدت الى الجولان وشاهدت كثير من
المستوطنات والمستعمرات اليهودية .. كما رأيت البؤس الذى يعيش فيه
الفلسطينيون فى الخيام.

رأيت وسمعت الكثير ، وحاولت من خلال هذا الكتاب أن أنقل
للقارئ العربى صورة أمينة ودقيقة عما يجرى داخل اسرائيل ..
ولست أدعى أسبقية وإنما يكفينى أن كل كلمة سجلتها فى هذا
الكتاب .. كانت صادقة.

محمد مصطفى